مجموعة رسائل للغزالي صحيح ١٧

آ ٤ صوفية

٤٨٤٠

كتاب المنقذ من الضلال ورساله العلق وكتاب المضنون به على
الغير اهله وكتاب الفرق بين الزندقة والايمان كلها لحجة الاسلام
الغزالى قدس سره قبل التصوف ٥

~~تخانت فلاسفه ومضنون به ورساله وحد~~

~~كتاب فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق المسمى بالمنقذ من الضلال~~

كتاب المنقذ من الضلال ورساله العلق المضنون به على غير اهله

وكتاب المضنون به على غير اهله ... وكتاب الفرق بين الزندقة والايمان ص

كلها لحجة الاسلام الغزالى قدس سره قبل التصوف

هفتاد هفت

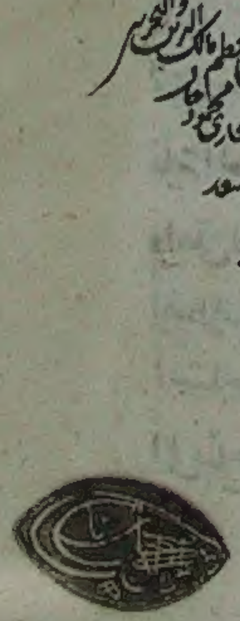

٤٨١٠

قال الشيخ الامام الاوحد الفقيه العالم
ركن الدين حجة الاسلام ابو حامد محمد بن
محمد بن محمد الغزالي الطوسي رضي الله عنه
الحمد لله الذي يفتتح بحمده كل رسالة ومقاله
والصلوة على محمد صاحب النبوة والرسالة وعلى
آله واصحابه الهادين من الضلالة اما بعد
فقد سالتني ايها الاخ في الدين ان اثبت اليك
غاية العلوم واسرارها وغاية المذاهب واغوارها
واجلي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين
اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق وما
استاجوت عليه من الاد تفاع من حضيض التقليد
الى بقاع الاستبصار وما استفدته اولا من

من علم الكلام وما احتويته ثانيا من طرق اهل
التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الامام
وما ازديته ثالثا من طرق التفلسف وما ارتضته
آخرا من طريق التصوف وما يحل لي في تضاعيف
تضيشي عن اقاويل الخلق من اثاره الحق وما جرى في
عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة وما دعاني
الى معاودته بنيسابور بعد طول المدة فاستدبت
لاجابتك الى طلبتك على صدق رغبتك
وقلت مستعينا بالله ومستوفقا منه وملتجيا اليه
اعلموا احسن الله ارشادكم والان للحق قادكم
ان اختلاف الخلق في الاديان والملل ثم اختلاف
الامة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق
بحر عميق غرق فيه الاكثرون وما نجا منه الا الاقلون
وكل فريق يزعم انه الناجي وكل حزب بما لديهم
فرحون وهو الذي وعدنا سيد المرسلين
صلوات الله عليه وهو الصادق المصدوق
حيث قال ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة

النا جة منها واحدة فقد كان ما وعدان يكون
ولم ازل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ
قبل بلوغ العشرين الى الان وقد انا والسن
على الخمسين انخم لجة هذا البحر العميق واخوض غمرته
خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور واتوغل
في مظلمه واهجم على كل مشكله واقتحم على كل ورطة
واتفحص عن عقيدة كل فرقة واستكشف اسرار
مذهب كل طايفة لاميز بين محق ومبطل وسني
ومبتدع ولا اغادر باطنيا الا واحببت ان اطلع
على بطانته ولا ظاهريا الا واريد ان اعلم حاصل
ظهارته ولا فلسفيا الا واقصد الوقوف على
كنه فلسفته ولا متكلما الا واجتهد في الاطلاع
على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا
الا واحرص على العثور على سر صفوته ولا متعبدا
الا واترصد ما يرجع اليه حاصل عبادته ولا
زنديقا معطلا الا وابحث وراءه للسنه
لاسباب جرته في تعطيله وزندقته وقد كان

كان التعطش الى درك حقايق الامور دابي ودیدني
من اقل امري وريعان عمري غريزة وفطرة من
الله تعالى وضعها في جبلتي لا باختياري وحيلتي
حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت على العقايد
الموروثة على قرب عهد سني الصبا اذ رايت
صبيان النصاري لا يكون لهم نشوا الا على النصرانية
وصبيان اليهود لا نشو لهم الا على اليهودية
وصبيان الاسلام لا نشو لهم الا على الاسلام
وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال كل مولود يولد على الفطرة
فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فتحرك باطني
الى طلب حقيقة الفطرة الاصلية وحقيقة العقايد العارضة
بتقليد الوالدين والاستادين والتميز بين هذه
التقليدات واوايلها بالقسار وفي تميز الحق منها
عن الباطل اختلافات فقلت في نفسي اولا انما مطلوبي
العلم بحقايق الامور فلا بد من طلب حقيقة العلم
ما هي فظهر لي ان العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه

المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان
الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الامام
من الخطاء ينبغي ان يكون مقارنا لليقين مقارنة
لو تحدى باظهار بطلانه مثلا من يقلب الجر ذهبا
والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا وامكانا
فاني اذا علمت ان العشرة اكثر من الثلثة لو
قال لي قائل لا بل الثلثة اكثر بدليل اني
اقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك
منه لم اشك في معرفتي ببطلانه ولم يحصل لي
منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه فاما الشك
فيما علمته فلا القول في مداخل السفسطة
وحد العلوم ثم علمت ان كل ما لا اعلم على هذا
الوجه ولا اتيقنه هذا النوع من اليقين فهو
علم لا اثق به ولا امان معه وكل علم لا امان معه
فليس بعلم بيقيني ثم فتشت عن علومي فوجدت
نفسي عاطلا عن علم موصوف بهذه الصفة الا
في الحسيات والضروريات فعلمت الان بعد حصول

حصول اليأس من مطمع في اقتباس اليقينيات الا من
الجليات وهي الحسيات والضروريات فلا بد من احكامها
اولا لا بين ان ثقتي بالمحسوسات واماني من الغلط في
الضروريات من جنس اماني الذي كان قبل التعلمات
ومن جنس امان اكثر الخلق في النظريات ام هو
امان محقق لا غور فيه ولا غائلة فاقبلت بجد بليغ
اتأمل في المحسوسات والضروريات وانظر هل
يمكنني ان اشكك نفسي فيها فانتهى في طول التشكك
الى ان لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات ايضا
واجدها يتسع الشك فيها ويتعذر من اين الثقة
واقواها حاسة البصر وهي تنظر الى الظل فتراه
واقفا غير متحرك وبحكم سنين الحركة ثم بالعيان والمشاهدة
بعد ساعة تعرف انه يتحرك وانه لم يتحرك دفعة
بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم يكن له حالة
وقوف وينظر الى الكواكب فتراه صغيرا في مقدار
الدينار ثم الادلة الهندسية تدل على انها اكبر
من الارض في المقدار هذا وامثاله من المحسوسات

حكم فيها حاكم الحس باحكامه ويكذبه حاكم العقل
كذلك لا سبيل الى معرفته فعلت فقد بطلت
الثقة بالمحسوسات ايضا ولعله لا ثقة الا بالعقليات
التي هي من الاوليات كقولنا العشرة اكثر من
التسعة والنفي والاثبات لا يجتمعان في ليلى الواحد
والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما معدوما
موجودا واجبا محالا فعالم المحسوسات بم تامن
بان يكون نفسك بالعقليات كثبتك بالمحسوسات
وقد كنت واثقا بها حكم العقل وكل شيء قد
كان الحاكم العقل لكنت تستمر على تصديقه فلعل
وراء ادراك العقل حاكما آخر اذا تجلى كذب العقل
في حكمه كما تجلى حاكم وكذب الحس في حكمه وعدم تجلي
ذلك الادراك لا يدل على استحالته فتوقفت
النفس في جواب ذلك قليلا وادرت اشكالها
بالمقام وقالت اما ترى تعقل في النوم امورا
وتخيل احوالا وتعتقدها ثباتا واستقرارا
ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ وتعلم

فتعلم انه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك اصل
وطايل فبم تامن ان يكون جميع ما تعتقده في
يقظتك بحس او عقل هو حق بالاضافة الى حالتك
لكن يمكن ان تطرأ عليك حالة تكون نسبتها
الى يقظتك كنسبة يقظتك الى منامك ويكون
يقظتك نوما بالاضافة اليها فاذا وردت تلك
الحالة تيقنت ان جميع ما توهمت بعقلك خيالات
لا حاصل لها ولعل تلك الحالة ما تدعيه الصوفية
انها حالتهم اذ يزعمون انهم يشاهدون في احوالهم
التي لهم اذا غاصوا في انفسهم وغابوا عن حواسهم
احوالا لا يوافق هذه المعقولات ولعل تلك
الحالة هي الموت اذ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فلعل
حيوة الدنيا نوم بالاضافة الى الاخرة فاذا مات
ظهرت له الاشياء على خلاف ما يشاهده الآن
ويقال له عند ذلك فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد فلما حضرت لي هذه الخواطر

وانقرحت فى النفس حاولت لذلك علاجا فلم تتيسر
اذلم يكن دفعه الا بدليل ولم يكن نصب دليل
الا من تركيب العلوم الاولية واذا لم يكن مسلمة
لم يكن ترتيب لدليل فاعضل هذا الداء ودام
قريبا من شهرا فيها على مذهب السفسطة بحكم
الحال لا بحكم النطق والمقال حتى شفاه الله تعالى
عن ذلك المرض والاعتلال وعادت النفس الى
الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات
العقلية مقبولة موثوقا بها على امن ويقين
ولم يكن ذلك بنظر دليل وترتيب كلام بل بنور
قذفه الله تعالى فى الصدور وذلك النور
هو مفتاح اكثر المعارف فمن ظن ان الكشف
موقوف على الادلة المحررة فقد ضيق رحمة الله
الواسعة ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الشرح قال هو نور يقذفه الله تعالى فى
القلب فقيل وما علامته فقال التجافى عن دار
الغرور والانابة الى دار الخلود وهو الذى قال

قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فى
ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن ذلك النور
ينبغى ان يطلب الكشف وذلك النور يلتمس
من النور الالهى فى بعض الاحايين وبحب الترصد
له كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم فى
ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والمقصود
من هذه الحكاية ان تعلم كمال الجد فى الطلب
حتى اسهى الى طلب لا يطلب لان الاوليات
ليست مطلوبة فانها حاضرة والحاضر لا يطلب
فانه اذا طلب بعد واختفى ومن طلب لا يطلب
فلا يتهم فى طلب ما يطلب بالتقصير ولما كفانى
الله تعالى هذا المرض بفضله وسعة جوده
واخبرت اصناف الطالبين عندى فى اربع
فرق المتكلمون وهم يدعون انهم اهل
الراى والنظر والباطنية وهم يدعون انهم
اصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من
الامام المعصوم والفلاسفة وهم يزعمون

انهم اهل النطق والبرهان والصوفية وهم يزعمون
انهم خواص الحق واهل المشاهدة والكاشفة فقلت
في نفسي الحق لا بعد وا هن الا وصاف الاربعة
فهو لاء هم السالكون سبيل طلب الحق فان شذ الحق
عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع اذ لا مطمع في الرجوع
الى التقليد بعد مفارقته اذ شرط المقلد ان لا يعلم
انه مقلد فاذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده
وهو شعب لا يراب وشمت لا يلم بالتفتق والتاليف
الا ان يذاب بالنار ويستانف له صفة اخرى متجددة
فابتدأت لسلوك هذه الطرق واستقصى ما
عندهو لاء الفرق مبتديا بعلم الكلام ومثنيا
بطريق الفلسفة ومثلثا بتعلمات الباطنية
ومربعا بطريق التصوف فيه ثم اني ابتدأت بعلم الكلام
فحصلته وعلقته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت
فيه ما اردت ان اصنفه فصادفته علما وافيا
بمقصوده غير وافٍ بمقصودي وانما المقصود
منه حفظ عقيدة اهل السنة وحراستها عن تشويش اهل

اهل البدعة فقد لقي الله تعالى الى عبارة على
لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقيدة هي الحق
على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمقدماته
القران والاخبار ثم التقى الشيطان في وساوس المبتدعة
امورا مخالفة للسنة فلبسوا بها وكادوا يشوشون
عقيدة الحق على اهلها وانشاء الله تعالى طايفة
من المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام
مرتب يكشف عن تلبسات اهل البدع المحدثة على
خلاف السنة المأثورة فمنه نشاء علم الكلام
واهله ولقد قام طايفة منهم بما ندبهم له واحسنوا
الذب عن السنة والنضال عن المتلقات بالقبول
من البرية والتغيير في وجه ما احدث من البدعة
ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات يسلموها
من خصومتهم امم الى تسليمها اما التقليد او اجماع
الامة او مجرد القبول عن القران في الاكثر
وكان اكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم
ومواضعاتهم بلوازم مسلماتهم وهذا قليل النفع في

حق من لا يسلم سوى الضروريات شيا فلم يكن الكلام
في حقه كافيا ولا مرادا لذي اشكر شافا نعم لما شاب
صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوقت
المكلمون الى مجاوزة الذب عن السنة بالبحث عن
حقايق الامور وخاضوا في البحث عن الجواهر و
الاعراض والكلي منهما ولكن لما لم يكن ذلك مقصودا
عليهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل
منه ما يمحق ظلمات الحيرة بالكلية في اختلافات
الخلق ولا ابعد ان يكون قد حصل ذلك لغيرك
بل لست اشك في حصول ذلك لطايفة ولكن
حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الامور التي ليست
من الاوليات والعرض الآن حكاية حالي لا الانكار
على من استشفى فان ادوية الشفاء مختلفة باختلاف
الداء فكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر
القول في حاصل الفلسفة وما يذم منها وما لا يذم
وما يكفر فيه قايله وما لا يكفر وما يبدع فيه وما سرى
كلام اهل الحق ومزجوه بكلامهم لترويج باطلهم في

في شرح ذلك وكيفية حصول افتراق الغوي من
ذلك الحق وكيفية استخلاص صراف الحق الخالص
من الزيف والبهرجة من جملة كلامهم ثم اني
ابتدات بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة
وعلمت يقينا انه لا يقف على فساد نوع من العلوم
من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي
اعلمهم في اصل العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته
ويطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غوره وغايته
فاذ ذاك يمكن ان يكون ما يدعيه من فساده
حقا ولم ار احدا من علماء الاسلام صرف عنايته
الى ذلك ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث
اشتغلوا بالرد عليهم الا كلمات مبدودة مقتضبة
ظاهرة التناقض والفساد لا تطمئن الاغمار بها بل العاقل
عامي فضلا عمن يدعي دقايق العلوم فعلمت ان
رد المذاهب قبل فهمها والاطلاع على كنهها رمي في
عماية فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم
من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاد

ومعلم واقبلت على ذلك فى اوقات فراغى من التدريس
والتصنيف فى العلوم الشرعية وانا ممنوع بالتدريس
والافادة لثلثمائة نفر من الطلبة ببغداد وفقنى
الله سبحانه وتعالى لمجرد المطالعة فى هذه
الاوقات المختلفة على منتهى علومهم فى اقل
من سنتين ثم لم ازل اواظب على الفكر فيه
بعد فهمى قريبا من سنة اعاوده واردده
واتعقل غوايله واغواره حتى اطلعت على ما فيه
من خداع وتلبيس وحيل وتخييل اطلاعا لم اشك
فيه فاستقر الان حكايته وحكايته حصل علومهم
فانهم راتهم اصنافا ورايت علومهم اقساما وهم
على كثرة اقسامهم ملزومون وصمة الكفر والالحاد
وان كان بين القدماء منهم والمتقدمين وبين الاوائل
منهم والاوايل تفاوت عظيم فى البعد عن الحق والقرب
منه اعلم انهم على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم
ينقسمون الى ثلثة اقسام الدهريون والطبيعيون
والالهيون القسم الاول الدهريون وهم

وهم طايفة من المتقدمين جحدوا الصانع المدبر
للعالم القادر وزعموا ان العالم لم يزل موجودا
كذلك لا صانع ولم يزل الحيوان من نطفة والنطفة
من حيوان كذلك كان وكذلك يكون ابدا
وهولاء هم الزنادقة القسم الثانى الطبيعيون
وهم قوم اكثر بحثهم عن الطبيعة وعن عجائب الحيوان
والنبات واكثروا الخوض فى علم تشريح الاعضاء
الحيوانات فرأوا فيها من عجايب صنع الله وبدايع
حكمته ما اضطروا معه الى الاعتراف بعامل
حكيم مطلع على عجايب الامور ومقاصدها
ولا مطالع التشريح وعجايب مناخ الاعضاء مطالع
الا وحصل له هذا العلم المزدوج بكمال تدبير
البارى لبنية الحيوان لا سيما بنية الانسان
الا ان هولاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر
عندهم لاعتدال المزاج تاثير عظيم فى قوام قوى
الحيوان به العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه
ايضا وانها تبطل ببطلان مزاجه فتعدم

ثم اذا انعدم فلا تعقل اعادة المعدوم كما زعموا
فذهبوا الى ان النفس تموت ولا تعود فجحدوا
الآخرة وانكروا الجنة والنار والقيمة والحساب
فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب
فاحل عليهم اللجام واتهمكوا في الشهوات انهماك
الانعام وهؤلاء زنادقة لان اصل الايمان
هو الايمان بالله واليوم الآخر وان امنوا بالله وصفاته
القسم الثالث الالهيون وهم المتاخرون
مثل سقراط وهو استاذ افلاطون وافلاطون
استاذ ارسطاطاليس هو الذي رتب لهم المنطق
وهذب العلوم وخمرهم عالم يكن مخمرا من قبل
واوضح لهم ما كان الملتبس من علومهم وهم بجملتهم
ردوا على الصنفين الاولين من الدهرية والطبيعية
واوردوا في الكشف عن فضائحهم ما اغنوا به
غيرهم وكفى الله المؤمنين القتال بمقالتهم
ثم رد ارسطاطاليس على افلاطون وسقراط ومن
كان قبله من الالهيين ردا لم تعرفه حتى بزاعن

عن جميعهم الا انه استبقى ايضا من ذيل كفرهم وبدعتهم
بقايا لم يوفق للورع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير
شيعتهم من المتفلسفة الاسلاميين كابن سينا
والفارابي واشالهما على انه لم يتم بعقل علم
ارسطاطاليس احد من متفلسفة الاسلاميين
كقيام هذين الرجلين وما نقله عنهم ليس يخلو
عن تخليط وتخبيط يتشوش فيه قلب المطالع حتى
لا يفهم وما لا يفهم كيف يرد او يقبل ومجموع ما
صح عندنا من فلسفة ارسطاطاليس كتب تقل هذين
الرجلين منحصرة في ثلثة اقسام قسم يحكم بتكفير به
وقسم يحكم بالبدع به وقسم لا يحكم بكراهه اصلا فلنفصله

فصل في اقسام علومهم اعلم ان علومهم
بالنسبة الى الغرض الذي نطلبه ستة اقسام رياضية
ومنطقية وطبيعية والهية وسياسية وخلقية فاما
الرياضية فيتعلق بعلم الحساب الهندسة وعلم
هيئة العالم وليس يتعلق منه شيء بالعلوم الدينية نفيا
واثباتا بل هي امور برهانية لا سبيل الى مجادلتها

بعد فهمها ومعرفتها وقد تولدت منه آفتان احديهما
من ينظر فيها فيتعجب من دقايقها ومن ظهور
براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده
في الفلاسفة ويحسب ان جميع علومهم في
الوضوح وثاقة البرهان كهذا العلم ثم يكون
قد سمع من كفرهم وتضليلهم وتهافتهم بالشرع
ما تراه لنة الالسنة فيكفر بالتقليد المحض ويقول
لو كان الدين حقا لما اختفى على هؤلاء مع تدينهم
في هذا العلم فاذا عرف بالسماع كفرهم وجحدهم
نزل عما ان الحق هو الجحد والانكار للدين
وكم رايت ممن ضل عن الحق بهذا القدر ولا
مستند له سواه واذا قيل له الحاذق في صناعة
واحدة ليس يلزم ان يكون حاذقا في كل صناعة
فلا يلزم ان يكون الحاذق في الفقه والكلام
حاذقا في الطب ولا ان يكون الجاهل بالطبيات
جاهلا بالنحو بل لكل صناعة اهل بلغوا فيها
رتبة البراعة والبين وان كان الجهل والحمق

والحمق يلزمهم في غيرها فكلام الاوايل في
الرياضيات برهاني وفي الالهيات تخميني
لا يعرف ذلك الا من شرع وخاض فيه فهذا
اذا قرر على هذا الحد للمتكلم لم يتم منه موقع
القبول بل يحمله عليه الهوى وشهوة البطالة
وجب التكاسل عن ان يكون على حسن الظن
بهم في العلوم كلها فهذه آفة عظيمة لاجلها يجب
زجر كل من تخوض في تلك العلوم فانها وان لم
يتعلق باصل الدين ولكن كانت من مبادي علومهم
سرى اليه سريهم وشوههم فعل من يخوض فيه
ويتخلع من الدين ويتخل عن راسه لجام التقوى
الآفة الثانية نبعت من صديق الاسلام جاهل
ظن ان الدين ينبغي ان ينصر بانكار كل علم مسطور
اليهم فانكر جميع علومهم واعمى جهلهم فيها حتى
انكر قولهم في الخسوف والكسوف وزعم ان ما
قالوه خلاف الشرع فاذا قرع ذلك سمع من
عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه

لكن اعتقدان الاسلام مبني على الجهل وانكار
البرهان القاطع فازداد للفلسفة حبا وللاسلام
ولقد عظمت على الدين جناية من ظن ان الاسلام
يعرض انكار العلوم وليس في الشرع تعرض لهذه
العلوم بالنفي والاثبات ولا في هذه تعرض
للامور الدينية وقوله صلى الله عليه وسلم ان الشمس
والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت احد
ولا لحيوته فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله
ليس في هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعرف بسير
الشمس والقمر واجتماعهما او مقابلتهما على وجه
مخصوص واما قوله ولكن الله تعالى اذا تجلى لشيء
خضع له فليس يوجد هذه الزيادة في الصحيح فهذا
حكم الرياضيات وآفتها واما المنطقيات فلا تتعلق
شيء منها بالدين نفيا واثباتا بل هو نظر في طرق
الادلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية
ترتيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها
وان العلم اما تصور وطريق معرفة الحد واما تصديق

تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا ما ينبغي
ان ينكر بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون واهل
النظر في الادلة وانما تغايروهم بالعبارات
والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في الترتيبات
والتشعيبات ومثال كلامهم فيه قولهم اذا ثبت
ان كل آ ب لزم ان بعض ب ا اي اذا ثبت
ان كل انسان حيوان لزم ان بعض الحيوان انسان
ويعبرون عن هذا بان الموجبة الكلية ينعكس موجبة
جزئية واي تعلق لهذا بمهمات الدين حتى يجحدوا
وينكروا اذا انكر لم يحصل من انكاره عند اهل
المنطق الا سوء الاعتقاد في عقل المنكر بل
دينه الذي يزعم انه موقوف على هذا الانكار
نعم لهم نوع من الظلم في هذا العلم وهو انهم يجعلون
للبرهان شروطا يعلم انها يورث اليقين لا محالة
لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ما اكثرهم
الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا غاية التساهل
وربما ينظر في المنطق ايضا من يستحسنه ويراه

فظن ان ما سئل عنهم من الكرات مويد لمثل
تلك البراهين فاستعجل الكف قبل الانتهاء الى العلوم
الالهية فهذه الافة ايضا متطرقة اليه واما الطبيعيات
فهو بحث عن اجسام العالم السموات وكواكبها وما
تحتها من الاجسام المفردة كالماء والهواء والتراب
والنار ومن الاجسام المركبة كالحيوان والنبات
والمعادن وعن اسباب تغيرها واستحالتها
وامتزاجها وذلك يضاهي بحث الطبيب عن جسم
الانسان واعضائه الرئيسة والخادمة واسباب
استحالة مزاجها وكما ليس من شرط الدين انكار
علم الطب فليس من شرط انكار ذلك العلم الا في
مسائل مثبتة ذكرناها في كتاب تهافت الفلاسفة
وما عداها مما يجب المخالفة فيها فعسى ان تامل تبين
انها مندرجة تحتها واصل جملتها ان يعلم ان
الطبيعة مسخرة لله تعالى لا يعمل شيئا بل هي
مستعملة من جهة فاطرها والشمس والقمر والطبايع
مسخرات باوه ولا يعمل شيئا بل لا يعمل شيء منها

منها بذاته عن ذاته واما الالهيات ففيها اكثر العلوم
وما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوا في المنطق
ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب مذهب
ارسطاطاليس منها من مذهب الاسلاميين على ما
نقله الفارابي وابن سينا ولكن مجموع ما غلطوا
يرجع الى عشرين اصلا يجب تكفيرهم في ثلثة منها و
تبديعهم في سبعة عشر وابطال مذهبهم في ثمن المسايل
صنفنا كتاب التهافت واما المسايل الثلث فقد
خالفوا فيها كافة الاسلاميين بذلك في قولهم الاجسام
لا يحشر وانما المثاب والمعاقب الارواح المجردة
والعقوبات روحانية لا جسمانية ولقد صدقوا في
اثبات الروحانية وانها كائنة ابضا ولكن كذبوا
في انكار الجسمانية وكفروا بالشريعة فيما نطقوا
به ومن ذلك قولهم ان الله تعالى يعلم الكليات دون
الجزئيات وهذا ايضا كفر صريح بل الحق ان الله تعالى
لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
ومن ذلك قولهم بقدم العالم وازليته ولم يذهب احد

من المسلمين الى شئ من من المسايل واما ما ورا
ذلك من تنبيهم الصفات وقولهم انه عالم بالذات
لا بعلم زايد وما يجرى مجراه فمذهبهم فيها قريب
من مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل
ذلك وقد بينا فى كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام
والزندقة ما تبين فيه فساد راى من يتسارع
الى التكفير فى كل ما خالف مذهبه واما التباسيات
فجميع كلامهم فيها راجع الى الحكم المصلحية المتعلقة بالامور
الدنيوية والآيالة السلطانية وانما اخذوها من
كتب الله المنزلة على الانبيا ومن الحكم المأثورة
عن السلف الاولياء واما الخلقية فجميع كلامهم
فيها يرجع الى حصر صفات النفس واخلاقها وذكر
اجناسها وانواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها
وانما اخذوها من كلام الصوفية وهم المتألهون
المثابرون على ذكر الله ومخالفة الهوى وسلوك
الطريق الى الله بالاعراض عن ملاذ والدنيا وقد
انكشف لهم فى خلالهم من اخلاق النفس وعيوبها
وعمى بها وآفاتها وامراضها ما عرجوا بها فاخذتها
الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلا بالتجمل بها
الى تروج باطلهم ولقد كان فى عصرهم بل فى كل
عصر جماعة من المتألهين لا يخلى الله تعالى العالم
عنهم فانهم اوتاد الارض وبيركاتهم تنزل الرحمة
على اهل الارض كما ورد فى الخبر حيث قال
مطرون وبهم سقون ومنهم من كان اصحاب الكهف
وكانوا فى سالف الازمنة على ما نطق به القران
فتولد من جهة كلام النبوة وكلام الصوفية فى
كتبهم آفتان آفة فى حق الفاضل وآفة فى حق الراد
فعظمة اذا ظنت طايفة من الضعفاء ان ذلك
الكلام اذا كان مدونا فى كتبهم ومزوجا باسمائهم
ينبغى ان لا يهجر ولا يذكر بل ينكر على من ذكره
اذ لم يستمعه اولا الا منهم فسبق الى عقلهم الضعيف
انه باطل لان قايله مبطل كالذى يسمع من
النصرانى لا اله الا الله عيسى رسول الله وينكره
ويترك هذا كلام النصارى ولا يتوقف ريثما يتامل

ان النصراني كان كاذبا باعتبار هذا القول
او لاعتبار الكافر لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فان لم يكن كاذبا الا باعتبار الكافر ولا ينبغي ان يكلف
في غير ما هو كافر فما هو حق في نفسه وان كان
ايضا حقا عنده وهذه عادة ضعفاء العقول
يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق والعاقل
يقتدي بقول امير المؤمنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه حيث قال لا يعرف الحق بالرجال
اعرف الحق تعرف اهله فالعاقل يعرف الحق ثم
ينظر في نفس القول فان كان مقابله سواء كان
قايله محقا او مبطلا بل ربما حرص على اتباع
الحق من تضاعيف كلام اهل الضلال عالما
بان معدن الذهب الرغام ولا باس على الصراف
ان دخل يده في كيس الثعلب فانتزع الابريز الخالص
من الزيف والبهرج مهما كان واثقا ببصيرته
وانما يزجر عن معاملة الثعلب الغرض دون
الصيرفي ومنع من ساحل البحر الاحمق الاخرق دون

دون السباح الحاذق ويصد فيمن مثل بحيث الصبي
دون المقدم والبارع ولعمري لما غلب على اكثر
الخلق طلبهم بانفسهم البراعة والحذاقة وكمال العقل
وتمام الالة في تمييز الحق عن الباطل والهدى عن
الضلالة وجب حسم المادة في زجر الكافة عن
مطالعة كتب اهل الضلال بالامكن اذ لا يسلمون
عن الافة الثانية التي سنذكرها وان سلموا
عن الافة التي ذكرناها ولقد اعترض على بعض
الكلمات المبثوثة في تضاعيف كتبنا في اسرار علوم
الدين طايفة من الذين لم يستحكم في العلوم
سرايرهم ولم تسفح الى اقصى غايات المذاهب
بصايرهم وذعمت ان تلك الكلمات من كلام
الاوايل مع ان بعضها من مولدات الخاطر ولا
بعد ان يتفق الحافر على الحافر وبعضها توجد
في الكتب الشرعية واكثرها موجود معناها في كتب
الصوفية وهذا انما لم توجد الا في كتبهم فاذا
كان ذلك الكلام معقولا في نفسه مؤيدا بالبرهان

ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة فلم يسعنا ان نهجر
وننكر ولو فعلنا هذا الباب وطرقنا الى ان نهجر
كل حق سبق اليه خاطر مبطل لزمنا ان نهجر كثيرا
من الحق ولزمنا ان نهجر جملة آيات من القرآن
واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وحكايات
الصوفية وكلمات الحكماء لان صاحب كتاب اخوان
الصفا اوردها في كتابه مستشهدا بها ومستروحا
قلوب الحكماء بواسطتها الى باطلة وتداعى ذلك
الى ان تسخ المبطلون الحق من ايدينا لادعائهم
انا هاكبهم واقل درجات العلم ان يتميز عن العامي
الغمر فلا نعلم لعل ان وجد في مجمة انجام
ويحقق ان الدم مستقذر لكونه في المجمة
بل لصفة في ذاته فاذا عدمت هذه الصفة
في الغسل فكونه في طرفه لا يكسبه تلك الصفة
فلا ينبغي ان يوجب له الاستقذار وهذا مما
باطل وهو غالب على اكثر الخلق فهما شبه الكلام
واستندبه الى قابل حسن فيه اعتقادهم قبلوه وان

وان كان باطلا وان اسنده الى من ساء فيه
اعتقادهم ردوه وان كان حقا يعرفون الحق
بالرجال وهي غاية الضلال هذه آفة الرد الاولة
الثانية آفة القبول فان من نظر في كتبهم كاخوان
الصفا، وغيره فرأى ما مزجوه بكلامهم من الحكم البين
والكلمات الصوفية ربما استحسنها وحسن اعتقاده
فيها فيتسارع الى قبول باطلهم الممزوج به حسن
ظن حصل له فيما رأى واستحسنه وذلك نوع
استدراج الى الباطل ولاجل هذه الآفة
يجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيها من الغرر
والخطر كما يجب صون من لا يحسن السباحة عن
مزالق الشطوط وكما يجب صون الصبيان عن
متناولات مخصوص الاسماع عن مخلط تلك
الكلمات وكما يجب على المعلم ان لا يمنع الحية
من يدي ولوم الطفل اذا علم انه يتعدى به
في اخذها ويظن انه مثله بل يجب ان يحذره
ان يحذر هو في نفسه من يديه وكذلك يجب علا

العالم الراسخ في العلم مثله وكما ان المعلم الحاذق
اذا اخذ الحية وميز بين الترياق والسم
فاستخرج منها الترياق وابطل السم فليس
ان يشح بالترياق على من يحتاج اليه وكذلك
العراف الناقد البصير اذا ادخل يده في كيس
القلاب واخرج منه الابريز الخالص وافسد
الزيف والبهرج فليس له ان يشح بايجاد المرضى
على من يحتاج اليه فكذلك العالم وكما ان المحتاج
الى الترياق اذا اشمأزت نفسه عنه حيث علم انه
مستخرج من الحية التي هي اركن السم وجب تعريفه
والفقير المضطر الى المال اذا نفر عن قبول الذهب
المستخرج من كيس القلاب وجب تنبيهه على
ان نفرته جهل محض وهو سبب حرمانه عن الغاية
التي هي مطلبه ويحتم تعريفه ان يختم قرب الجوار
بين الزيف والبهرج والجيد لا يجعل الجيد زيفا
كما لا يجعل الزيف جيدا فكذلك قرب الجوارين
الحق والباطل لا يجعل الحق باطلا كما لا يجعل الباطل

الباطل حقا فهذا منتهى ما اردنا ذكره من آفة
كفلسفة وغايلتها القول في مذاهب التعليم
وغايلته ثم اني لما عرفت من علم الفلسفة ف
تحصيله وتفهمه وتزييف منه علمت ان ذلك
ايضا غير واف بكمال الغرض ان العقل ليس مستقلا
بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء
عن جميع المعضلات وقد كانت سنت بابنة
التعليم به وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة معنى
الامور من جهة الامام المعصوم القايم
بالحق عز لي ان ابحث عن مقالتهم لاطلع على
ما في كتابتهم ثم اتفق ان ورد علي امر جازم
من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن
حقيقة مذهبهم فلم يستغن مدافعته وصار
ذلك مستحثا من خارج صميم الباعث الاصلي
من الباطن فانتدبت لطلب كتبهم وجمع مقالاتهم
وكان قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة التي
ولدتها خواطر اهل العصر على المنهاج المعهود

من سلفهم فجمعت تلك الكلمات ورتبتها ترتيبا
محكما مقاربا للتحقيق واستوفيت الجواب عنها
حتى انكر اهل الحق في تقرير حجتهم وقال هذا
سعي لهم فانهم كانوا يغنون عن نصرة مذهبهم
بمثل هذه الشبه ولولا تحقيقك لها وترتيبك
اياها وهذا الانكار من وجه حق ولقد
انكر احمد بن حنبل على الحارث المحاسبي رح
في الرد على المعتزلة فقال الحارث الرد على البدعة
فرض فقال احمد نعم ولكن حكيت شبههم
ثم اجب عنها فهم قل من ان يطالع الشبهة
من تعلق نفهمه ولا يلتفت الى الجواب وينظر
في الجواب ولا يفهم كنهه وما ذكره احمد رح
حق ولكن في شبهة لم ينتشر ولم تشتهر
فاذا انتشرت فالجواب عنها واجب ولم يكن الجواب
الا بعد الحكاية نعم ينبغي ان لا يتكلف
لهم شبهة لم يتكلفوها ولم يتكلفوا ذكرها
فلم اتكلف انا ذلك بل كنت قد سمعت تلك

تلك الشبهة من واحد من اصحاني المختلفين الى بعد
ان كان قد التحق بهم وانتحل مذهبهم وحكى انهم
يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم
فانهم لم يفهموا بعد حجتهم ثم ذكر تلك الحجة وحكاها
عنهم فلم ارض لنفسي ان يظن بي الغفلة عن اصل
حجتهم فلذلك اوردتها ولا ان يظن بي اني
وان سمعتها فلم افهمها فلذلك قررتها على المقصود
اني قررت شبهتهم الى اقصى الامكان ثم
اظهرت فسادها بغاية البرهان واكامل
انه لا حاصل عندهم ولا طايل لكلامهم ولولا
سوء نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك
البدعة مع ضعفها الى هذه الدرجة لكن
شدة التعصب دعا الرابين عن الحق الى
تطويل النزاع معهم في مقدمات كلامهم وفي
مجاحدتهم في كل ما نطقوا به فجاحدوهم في
دعوهم الحاجة الى التعليم والى المعلم وفي عوامهم
انه لا يصلح كل معلم بل لا بد من معلم معصوم

وظهرت حجتهم الى اظهار الحاجة الى التعليم والى المعلم
وضعف قول المنكرين فى مقاملته فاعتر بذلك
جماعة فظنوا ان ذلك من قوة مذهبهم وضعف
مذهب المخالف له ولم يفهموا ان ذلك لضعف
ناصر الحق وجهله بطريقه بل الصواب الاعتراف
بالحاجة الى معلم وانه لابد وان يكون معصوما
وليس معلمنا محمد صلى الله عليه وسلم فاذا قالوا
هو ميت نقول ومعلمكم غائب فان قالوا
معلمنا قد علم الرعاة وسيتم فى البلاد وهو بين
رحيتهم ان اختلفوا او اشكل عليهم مشكل نقول
ومعلمنا قد علم الدعاه وثبتهم فى البلاد واكمل
التعليم اذ قال الله تعالى اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتى وبعد كمال
التعليم لا يضر فوت المعلم كما لا يضر غيبته
سقى انهم يقولون كيف يحكمون بما لا يسمعونه
بالنص ولم يسمعوا او بالاجتهاد بالراى وهو
مظنة الخلاف فنقول نعلمون ما فعله معاذ رضى الله عنه

اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن
ان يحكم بالنص عند وجود النص وبالاجتهاد
عند عدمه بل كما شمل دعاتهم اذا بعدوا عن
الامام الى اقصى البلاد اذ لا يمكنهم ان يحكموا
بالنص فان النصوص متناهية لا تستوفى
الوقايع الغير المتناهية ولا يمكنهم الرجوع فى
كل واقعة الى بلد الامام والى ان قطع المسافة
ويرجع يكون المستفتى قد مات وانتفع بالرجوع
قد فات فى اشكلت عليه القبلة يسر له طريق
الا ان يصلى لاجتهاد او يسافر الى بلد
الامام ليعرفه القبلة فيفوت وقت الصلوة
فان جازت الصلوة الى غير القبلة بناء
على الظن وقوله عليه السلام ان المخطئ فى
الاجتهاد له اجر واحد والمصيب له اجران
فكذلك فى جميع المجتهدات وكذلك امر تعرف
الزكوة الى العفيف وربما يحسبه فقيرا باجتهاده
وهو غنى باطنا لاخفاء حاله فلا يكون مواخذا به

وان اخطا، لانه لم يوخذ الا بموجب ظنه فان
قال ظن مخالفه كظنه فاقول هو هامن ر
باتباع ظن نفسه كالمجتهد في القبلة يتبع ظنه
وان خالفه غيره فان قال قابل فالمقلد
سمع الشافعي ام ابا حنيفة ام غيرهما فاقول
والمقلد في القبلة عند الاشتباه اذا اختلف
عليه المجتهدون كيف يصنع فنقول له
مع نفسه اجتهاد في معرفته الافضل الاعلم
بدلايل القبلة فيتبع ذلك بالاجتهاد فلذلك
في المذاهب وبالجملة فرد الخلق الى الاجتهاد
ضرورة الانبياء والائمة لانهم قد يخطون
بل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
احكم بالظاهر والله يتولى السرايرِ اى احكم
بغالب الظن اى حاصل من قول الشهود وربما
اخطا فيه فلا سبيل الى الامن من الخطاء
للانبياء في مثل هذه المجتهدات فكيف
نطمع في ذلك غيرهم ولهم سوالان احدهما

احدهما قولهم هذا وان صح في المجتهدات فلا يصح
في قواعد العقايد اذ المخطئ فيه غير معذور
فكيف السبيل اليه فاقول في قواعد العقا
يشتمل عليها الكتاب والسنة وما وراء ذلك
من التفصيل المتنازع فيه يعرف الحق فيه
بالوزن بالقسطاس المستقيم وهي الموازين
التي ذكرها الله تعالى في كتابه وهي خمسة
ذكرتها في كتاب القسطاس المستقيم فان
خصومك يخالفونك في ذلك الميزان فقول
لا يتصور ان يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه
اهل التعليم لانه استخرجته من القرآن و
تعلمته منه فلا يخالف فيه اهل المنطق لانه
موافق لما شرطوا في المنطق غير مخالف له ولا
يخالف فيه المتكلم لانه موافق لما ذكره في
ادلة النظريات وبه يعرف الحق في الكلامات
فان قال اذا كان في يدك مثل هذا الميزان
فلم لا يرتفع الخلاف بين الخلق فاقول لو انصفوا

الى لرفعت الخلاف بينهم و ذكرت طريق رفع الخلاف
في كتاب لقسطاس المستقيم فتامله لتعلم انه حق
وانه يرفع الخلاف قطعا لو اصفوا ولا يصفون
الله باجمعهم بل قد اصفى اليه طائفة فرفعت الخلاف
بينهم مع عدم اصفائهم فلم لم نرفعه الى الآن
بل على كرم الله وجهه وهو راس لائمة لم نقدر
على ذلك اويدعي انه يقدر على حمل كافتهم على
الاصفاء قهرا فلم لم يحملهم الى الآن ولاي يوم لطلت
وهل حصل بين الخلق بسبب دعوته الا زيادة خلاف
وزيادة مخالف نعم كان يخشى من اختلاف نوعا
من الضرر وان لا ينتهي الى سفك الدماء وتخريب
البلاد وايتام الاولاد وقطع الطرق والاغارة
على الاموال وقد حدث من بركات رفعكم
الخلاف ما لم يكن بمثله عهد فان قال ادعيت
انك ترفع الخلاف بين الخلق ولكن المتميز
من المذاهب المتفارقة والاختلافات المتقابلة
لم يلزمه الاصفاء اليك دون خصمك واكثر الخصوم

في كتاب اخوان الصفاء وهو على العمق حشو النسمة
والعجب من يتعجب طول العمر في طلب العلم ثم يقنع بمثل
ذلك العلم الركيك المستقث ويظن انه ظفر
باقصى مقاصد العلوم فهؤلاء اضاحربهم وسرنا
ظاهريهم فرجع حاصلهم الى استدراج العوام
وضعفاء العقول ببيان الحاجة الى المعلم
ومحادلتهم في انكارهم الحاجة الى التعليم بكلام
قوي منمنم حتى اذا ساعدهم على القول بالحاجة
الى المعلم ساعدوا قالوا هات علما وافدنا
من تعليمه وقف وقال الآن اذا سلمت لي
هذا فاطلبه فانما عرضي هذا القدر فقط اذا علم
انه لو زاد على ذلك لانفضح ولعجز عن حل
ادنى المشكلات بل عجز عن فهمه فضلا عن جوابه
وهذا حقيقة حالهم على ما اخبرتني تعليمهم فلما
رهنا هم نقضنا اليد عنهم ايضا القول
في طريق الصوفية ثم اني لما عرفت من هذه
العلوم اقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت

ان طريقهم انما يتم بعلم وعمل وكان حاصل علمهم
قطع عقوبات النفس والتنزه عن اخلاقها
المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها
الى تحلية القلب عن غير الله وتحليته بذكر الله
وكان العلم اسير على من العمل فاستدللت بتحصيل
علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب
لابى طالب المكى وكتب الحارث المحاسبى و
المنزلات المأثورة عن الجنيد والشبلى وابى
يزيد البسطامى قدس الله ارواحهم وغير ذلك
من كلام المشايخ حتى اطلعت على كنه مقاصدهم
العلمية وحصلت ما يمكن ان يحصل من طريقهم
بالتعلم والسماع وظهر لى ان اخص خواصهم
ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق
والحال وسدل الصفات وكم من الفرق بين
ان يعلم حد الصحة وحد السبع واسبابها وشروطها
وبين ان يكون صحيحا شبعان وبين ان يعرف
حد السكر وانه عبارة عن حالة تحصل من

من استيلاء الخرة تصاعد من المعدة الى
معلان الفكر وبين ان يكون سكران لا بل
السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران
وما معه من السكر شيء والطبيب في حالة المرض
يعرف حد الصحة واسبابها واضدادها وهو
فاقد للصحة وكذلك الفرق بين ان تعرف حقيقة
الزهد وشروطه واسبابه وبين ان تكون
حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا
فعلمت يقينا انهم ارباب احوال لا اصحاب اقوال
وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصلته
ولم يبق الا ما لا سبيل اليه بالتعلم والسماع
بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل
معنى من العلوم التى مارستها والمسالك
التى سلكتها فى التفتيش عن صفقى العلوم الشرعية
والعقلية ايمان يقينى بالله وبالنبوة وباليوم
الاخر فهذه الاصول الثلثة من الايمان
كانت قد رسخت فى نفسى لا بدليل معين مجرد

كل اسباب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر
تفاصيلها وكان قد ظهر عندي انه لا مطمع
في سعادة الآخرة الا بالتقوى وكف النفس
عن الهوى وان راس ذلك كله قطع علائق القلب
عن الدنيا والتجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاقبال بكنه الهمة على الله
تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الجاه
والمال والهرب من الشواغل والعلائق وقد
احرجت لي من الجوانب ولاحظت اعمالي وجدتها
التدريس والتعليم واذا انا مقبل فيها على علوم
غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ثم تفكرت
في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله
بل باعثك مجرد طلب الجاه وانتشار الصيت
فيقتضيني على شفا جرف هار واني قد اشفيت
على النار ان لم اشتغل بتلافي الاحوال
فلم ازل افكر فيه مدة واتا بعد على مقام
الاختيار امم عزمي على الخروج من بغداد ومفارقة

ومفارقة تلك الاحوال يوما واحدا يوما واحدا
واقدم فيه رجلا واوخر عنه اخرى ولا تصدق
لي رغبة في طلب الآخرة بكرة الا تحمل عليه جند
الشهوة حملة فينفرها عيشة فصارت شهوات
الدنيا تجاذبني سلاسلها الى المقام ومنادي
الايمان ينادي الرحيل الرحيل ولم يبق من
العمر الا القليل وبين يديك السفر الطويل
وجميع ما انت فيه من العلم والعمل رياء
وتخييل وان لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد
وان لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطعها
فعند ذلك تبعث الداعية وينجزم العزم على
الهرب والفرار ثم تعود الشيطان ويقول
هذه حالة عارضة اياك ان تطاوعها فانها
سريعة الزوال فان رغبت لها وتركت هذا
الجاه العريض والشان المنظوم الخالي عن الكذب
والتنغيص والامر المسلم العالي عن منازعة
الخصوم ربما التفت اليه نفسك ولا يتيسر لك

المعاودة فلم ازل اتردد هن كاذب شهوات
الدنيا والدواعي فرها من سته اشهر اقلها
رجب سنة ست وثمانين واربع مايه وفي
هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الي
الاضطرار اذا قفل الله على لساني حتى اعتقل
عن التدريس وكنت اجاهد نفسي في ان ادرس
يوما واحدا تطيبا لقلوب المخلفة فكان
لا تنعقد لساني بكلمة ولا استطيعها البتة
حتى اورثت هذه العقلة في اللسان حزنا
في القلب تطلب معه قوة الهضم ومري الطعام
والشراب فكان الانباع الى شربه ولا تهضم
الى لقمة وتعدى الى ضعف القوى حتى قطع
الاطباء طمعهم من العلاج وقالوا هذا نزل
بالقلب ومنه سري الى المزاج فلا سبيل اليه
بالعلاج الا بان يتروح السر عن هذا المسلم
ثم لما احست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجاء
الى الله التجاء المضطر الذي لا حيلة له فاجابني

فاجابني الذي يجيب المضطر اذا دعاه وسهل عليّ
قلبي الاعراض عن الجاه والمال والاهل والاولاد
واظهرت عزم الخروج الى مكة وانا ابدي في نفسي
سفر الشام حذرا من ان يطلع الخليفة وجمله
الاصحاب على عزمي في المقام بالشام فتلطفت
بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم
مني ان لا اعاودها ابدا فاستهدفني لايمة
اهل العراق كافة اذ لم يكن فيهم من يكون
ان يكون الاعراض عما كنت فيه سببا الى الدنيا
اوظنوا ان ذلك هو المنصب الاعلى في الدين
وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتك الناس
في الاستنباطات وظن من بعد من العراق
ان ذلك لاستشعار من وجه الولاة واما
من قرب منهم وكان شاهدا كاهم في العلم
نية والانكار علي واعراضي عنهم وعن الالتفات
الى قولهم فيقولون هذا امر سماوي ليس له سبب
الا عين اصابت اهل الاسلام وزمرة العلم

فارقت ما كان معي من مال ولم ادخر الا قدر الكفاف
وقوت الاطفال رجحانا ان مال الفقير رصد
للمصالح لكونه وقفا على المسلمين فلم ار لي في العالم
مالا ما خذه العالم لعياله اصلح منه ثم دخلت
الشام واقمت بها قريبا من سنين لا شغل لي
الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة
اشتغالا بتزكية النفس وتذهيب الاخلاق
وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته
من علم الصوفية فكنت اعتكف مدة في مسجد
دمشق اصعد منارة المسجد الجامع طول يومي اغلق
بابها على نفسي ثم رحلت منها الى بيت المقدس
ادخل كل يوم الصخرة واغلق بابها على نفسي
ثم بركت في داعية فريضة الحج والاستمداد
من بركات المكة والمدينة وزيارة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الخليل
صلوات الله عليه فسرت الى الحجاز ثم جذبتني الهمم
ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته بعد ان

ان كنت ابعد الخلق عن الرجوع اليه وآثرت
العزلة ايضا حرصا على الخلق وتصفية القلب
للذكر وكانت جواذب الزمان ومهمات العيال
وضروريات المعيشة تفترني وجه الى ادنى شوشي
صفوة الخلق وكان لا تصفو الى الكمال الا في
اوقات متفرقة لكني مع ذلك لا اقطع طمعي عنها
فدفعني عنها العوائق واعودها ودمت
على ذلك مقدار عشر سنين وانكشفت لي
في اثناء هذه الخلوات امور لا يمكن احصاؤها
واستقصاؤها والقدر الذي اذكره لينفع
به اني علمت يقينا ان الصوفية هم السالكون
لطريق الله خاصة وان سيرتهم احسن السير
وطريقتهم اصوب الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق
بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم العلماء
على اسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من
سيرتهم واخلاقهم وسد لوه بما هو خير منه لم
يجدوا اليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم

في ظاهرهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة
وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور
يستضاء به وبالجملة فماذا يقول القائلون
في طريقة طهارتها وهي اول شروطها تطهير
القلب بالكلية عما سوى الله عز وجل وغناها
الجاري منها مجرى التحرم من الصلوة استغراق
القلب بذكر الله تعالى واخرها الفناء بالكلية
في الله هذا لخرها بالاضافة الى ما لا يكاد يدخل
تحت الاختيار والكشف من اوايلها وهو على
الحقيقة اولى الطريقة والمشاهدات وما قبل
ذلك كالدهليز للسالك اليه من اول الطريقة
سدى الكاشات حتى انهم وهم في يقظتهم يشاهدون
الملايكة وارواح الانبياء ويسمعون منهم
اصواتا ويقتبسون منهم فوايد لم تزل تجلى
من مشاهدة الصور والامثال الى درجات
يضيق عنها نطاق النطق فلا نحاول محاول
ان يعبر عنها الا اشتمل لفظه على خطاء صريح

صريح لا يمكنه الاحتراز منه وعلى الجملة سمى
الامر الى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول
وطايفة الاتحاد وطائفة الاصول وكل ذلك
خطا، وقد بينا وجه الخطا، فمه في كتاب المقصد
الاقصى بل الذي لا بد منه تلك الحالة فلا ينبغي
ان نريد على ان نقول كان ما كان مما لست
اذكره فمن خذا ولا يسئل عن الخبر وبالجملة
فمن لم يرزق منه شيئا بالذوق فليس يدرك
في حقيقة النبوة الا الاسم وكرامات الاولياء
على التحقيق هي بدايات الانبياء، وكان ذلك
اول حاله رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث يتبتل الى جبل حراء حتى كان يخلو فيه
بربه ويتعبد حتى قالت العرب ان محمدا
يعشق ربه وهذه حاله بتحققها بالذوق
من سلك سبيلها ومن لم يرزق الذوق
منعها بالتحرية والسامع ان اكثرهم
الصحبة حتى يفهم ذلك بقرائن الاحوال

يقينا ومن حالهم استعداد منهم هذا الايمان
فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ومن لم يرزق
صحبتهم فنعلم امكان ذلك بما شاهد
البرهان على ما ذكرناه في كتاب عجائب القلب
من كتاب الاحياء والتحقيق بالبرهان علم
وملابسة تلك الحاله ذوق والقبول
من السامع والمحبة حسن الظن ايمان
وهذه ثلث درجات يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات وورا
هولاء قوم جهال هم المنكرون لامثل
ذلك المتعجبون من هذا الكلام يسمعون
ويسرون ويقولون العجب انهم كيف يهدون
فهم قال الله تعالى ومنهم من يستمع اليك
حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا
العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم واتبعوا اهوائهم وما بان لي
بالضرورة من مماسة طريقتهم حقيقة النبوة

النبوة وخاصيتها ولا بد من التنبيه على
امثلها لسرعة مساس الحاجة اليها القول
في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق
اليها اعلم ان جوهر الانسان في اصل
الفطرة خلق خالدا ساذجا لا خبر له من
عوالم الله والعوالم كثيرة لا يحصيها الا
الله كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا
هو وانما خبره من العوالم بواسطة الادراكات
خلق ليطلع الانسان على عالم من الموجودات
وبنى العالم احاسيس المجردات فاول ما
خلق في الانسان حاسة اللمس فيدرك بها
احاسيس من الموجودات كالحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة
وغيرها واللمس قاصر عن ادراك الالوان
والاصوات فطبائع كالمعدومة في حق
اللمس ثم خلق له البصر فيدرك به الالوان
والاشكال وهو اوسع عوالم المحسوسات فيخلق

فيه التمييز وهو قريب من سبع سنين وهو طور
آخر من اطوار وجوده فدرك فيه امورا زايدة
على المحسوسات لا توجد شئ في عالم الحس ثم ترقى
الى طور آخر فخلق له العقل فدرك الواجبات
والجايزات والمستحيلات وامورا لا يوجد في
الاطوار التي قبله ووراء العقل طور آخر
سمح فيه عن اخرى يبصرها الغيب وما سيكون
في المستقبل وامور اخر العقل معزول عنها
كعزل قوة الحس عن مدركات التمييز وكما ان
المميز لو عرض عليه مدركات العقل لاباها
واستبعدها فكذلك بعض العقلاء ابو بكر ابت
النبوة فاستبعدوها وذلك عن الجهل اذ لا
مستند له انه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه
فظن انه غير موجود في نفسه والا لكمه لو لم يعلم
بالتواتر والتسامع الالوان والاشكال وكل
له ابتداء لم يفهمها ولم يقرها وقد قرب الله مع
ذلك الى خلقه بان اعطاهم النموذج من خاصية
حاصة النوم وهو النوم اذ النوم يدرك
ما سيكون من الغيب اما صريحا واما في كسرة
مثال يكشف عنه التعبير لو لم يجربه الانسان
من نفسه وقيل له ان من الناس من يسقط
مغشيا عليه كالميت وتزول احساسه
وسمعه وبصره فدرك الغيب لا نكره ولا قام
البرهان على استحالته وقال القوى الحساسة
اسباب الادراك فمن لم يدرك شيئا
مع وجودها وحضورها فمان لا يدركه
مع ركودها اولي واحق وهذا نوع قياس
يكذبه الوجود والمشاهدة فكما ان العقل
طور من اطوار الآدمي يحصل به فيه عن
سمعها انواعا من المعقولات الحواس معزولة
عنها فالنبوة ايضا عبارة عن طور يحصل
فيه عن لها نور يظهر في نورها الغيب
وامور لا يدركها العقل والشك في النبوة
اما ان تقع في امكانها او في وجودها ووقوعها

او في حصولها لشخص معين ودليل امكانها
وجودها ودليل وجودها وجود معارف
في العالم لا يقصوران يقال بالعقل كعلم
الطب والنجوم فانه من بحث عنها علم بالضرورة
انها لا تدرك الا بالالهام الالهي والتوفيق
من جهة الله تعالى ولا سبيل اليه بالتجربة
فمن الاحكام النجومية ما لا يتم الا في كل الف
سنة مدة فكيف يقال بالتجربة وكذلك
خواص الادعية فمن هذا البرهان ان
من الامكان وجود طريق ادراك هذه
الامور التي لا يدركها العقل وهو المراد
بالنبوة لان النبوة عبارة عنها فقط بل
ادراك هذا الجنس الخارج عن مدركات
العقل احدى خواص النبوة وله خواص
كثيرة سواها وما ذكرناه فقطرة من
بحرها وانما ذكرناها لان معك النموذج
منها وهو مدركاتك في النوم ومعك علوم

الخصوم بالفونك ولا فرق بينك وبينهم وهذا
هو سوالهم الثاني فاقول هذا اولا ينقلب
عليك فانك اذا دعوت هذا المتحير الى نفسك
فقول لك لم صرت اولى من مخالفيك واكثر
اهل العلم نخالفونك فليت شعري بماذا تجيبه
اتجيب بان تقول امامي منصوص عليه فمن يصدقك
في دعويا النص وهو لم يسمع النص من الرسول
صلى الله عليه وسلم وانا يسمع دعواك مع تطابق العالم
على اختراعك وتكذيبك ثم هب انه سلم
لك النص فاذا كان متحيرا في اصل النبوة
فقال هب ان امامك يدل على قوله بمعجز عيسى
عليه السلام فقول الدليل على صدقي اني
احيي اباك واحياه فنا طقني انه محق فماذا
اعلم صدقه وكافة الخلق لم يعلموا صدق عيسى
بهذه المعجزة بل عليه من الاسولة ما لا يدفع
الا بطريق النظر العقلي والنظر العقلي لا وثوق به
ولا امن دلالة المعجز على الصدق ما لم يعرف السحر

والتميز بينه وبين الحجة لا يعرف ما لم يعرف ان الله
لا يضل عباده وسوال الاضلال وتحرير الجواب
عنه مشهور فبماذا تعرف جميع ذلك فلم يكن بالمتابعة
اولى من مخالفته فترجع الى الادلة النظرية التي
ذكرها وخصمه يدري مثل تلك الادلة والاوضح
منها وهذا السوال قد انقلب عليهم انقلابا عظيما
ولو اجتمع اولهم وآخرهم على ان يحرروا عنه جوابا
لم يقدروا عليه وانما نشا الفساد من جماعة
من الضعفا، ناظروهم فلم يشتغلوا بالقلب بل
بالجواب وذلك مما يطول فيه الكلام ولا يسبق
سريعا الى الافهام فلا يصلح الاقحام فان قال
قائل فهذا هو القلب فهل عنه جواب فاقول
نعم جوابه ان المتحير ان قال انا متحير ولم يعين
المسئلة التي هو متحير فيها فيقال له انت كمريض
يقول انا مريض ولم يذكر عين مرضه وطلب علاجه
فيقال له ليس في الوجود علاج لمرض مطلق بل
لمرض معين من صداع او اسهال او غيره فكذلك

فكذلك المتحير ينبغي ان يعين ما هو متحير فيه
فان عين المسئلة عرفه الحق بالوزن بالموازين
الخمسة التي لا تنهما احد الا ويعترف انه الميزان
الحق الذي يوثق به كل ما يوزن به فتفهم الميزان
وتفهم منه ايضا صحة الوزن كما تفهم متعلم علم الحساب
نفس الحساب وكون الحاسب المعلم عالما بالحساب
وصادقا فيه وقد اوضحت ذلك في القسطاس المستقيم
في مقدار عشرين ورقة فليتامل وليس المقصود
الا تبيان فساد مذهبهم وقد ذكرت ذلك في الكتاب
المسمى اولا وفي كتاب محك النظر ثانيا وهو
جواب كلام عرض علي ببغداد وفي كتاب معيار
الخلاف الذي هو اثنى عشر فصلا ثالثا وهو
جواب كلام عرض علي بهمدان وفي جواب
الدرج المرقوم بالجداول رابعا وهو منزكيك
كلامهم الذي عرض علي بطوس وفي كتاب القسطاس
المستقيم خامسا وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده
بيان ميزان العلوم واظهار الاستغناء عن الامام

لمن احاط به بل المقصود ان هولاء ليس معهم شئ
من الشفاء المنجي من ظلمات الاراء بل هم مع
عجزهم على اقامة البرهان على تعيين الامام
ظالما جادناهم فصدقناهم عن الحاجة الى التعلم
والى المعلم المعصوم وانه الذي عينوه ثم سالناهم
عن العلم الذي علموه من هذا المعصوم وعرضنا
عليهم اشكالات فلم يفهموها فضلا عن القيام
بحلها فلما عجزوا احالوا على الامام الغائب وقالوا
لابد من الاستمداد اليه والتعجب منهم انهم ضيعوا
عمرهم في طلب العلم وبالنجح بالظفر به ولم يتعلموا
منه شيئا اصلا كالمتلطخ بالنجاسة تتعب في طلب
الماء حتى اذا وجده لم يستعمله وبقي ملوثا بالنجاسة
ومنهم من ادعى شيئا من علمهم وكان حاصل
ما ذكروه شيئا من ركيك فلسفة مشاغورش
وهو رجل من قدماء الاوايل ومذهبه اركك
مذاهب الفلاسفة وقد رد عليه اسطاطاليس
بل اشرك كلامه واستزله وهو المحكي في كتاب

علوم من جنسها في الطب والنجوم وهي معجزات
الانبياء ولا سبيل لها للعقلاء ببضاعة
العقل املا واما ما عداها من خواص النبوة
فانما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف
لان هذا انما فهمته بالنموذج زرقته وهو
النوم ولولاه لما صدقت به فان كان بشئ
خاصية ليس لك منها النموذج ولا نعلمها
اصلا فكيف تصدق بها وانما التصديق
بعد الفهم وذلك الا بنموذج يحصل في
اوايل طريق التصوف فتحصل نوع من
الذوق بالقدر الحاصل من التصديق مما لم
تحصل له القياس اليه فهذه الخاصية يكفيك للايمان
باصل النبوة فان وقع لك الشك في شخص
معين انه نبي ام لا فلا يحصل اليقين الا
بمعرفة احواله اما بالمشاهدة او بالتواتر
والتسامع فانك اذا عرفت الطب والفقه
امكنك ان تعرف الاطباء والفقهاء وشاهدة

احوالهم وسماع اقوالهم وان لم تشاهدهم ولا
تقدر على معرفة كون الشافعي فقيها وجاليوس
طبيبا معرفة حقيقية لا بالتقليد وان شاهد
بهما الا من تعرف شيئا من الطب والفقه
فبطالع كتبهما وتصانيفهما فيحصل لك علم
ضروري بحالهما وكذلك اذا فهمت معنى النبوة
فاكثر النظر في القرآن والاخبار يحصل العلم
الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم في اعلى درجات
النبوة واعضد ذلك بتتبع ما قاله في العبادات
وباثرها في تصفية القلوب وكيف صدق في
قوله من عمل بما علم به ورثه الله علم ما لم يعلم
وكيف صدق في قوله من اعان ظالما سلطه
الله عليه وكيف صدق في قوله من اصبح
وهمومه هم واحد كفاه الله هموم الدنيا
والاخرة فاذا جربت ذلك في الف والف
حصل لك علم ضروري لا تماري فيه
فمن هذا الطريق اطلب اليقين بالنبوة لا من

لا من قلب العصى ثعبانا وشق القمر فان ذلك
اذا انظرت اليه وحده ولم تنظم اليه القرآن
من الكثيرة الخارجة عن الحصر ربما ظننت
انه سحر وانه محال وانه من الله تعالى اضلال
فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وترد
عليك اسولة المعجزات فاذا كان مستند
ايمانك كلاما منظوما وفي وجه دلالة المعجز
فيحزم ايمانك بكلام قرب في توجه الاشكالات
والشبه عليها فليكن بمثل هذه الخوارق
اعني القرآن والدلائل في جملة نظرت
حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر
مستنده على اليقين كالذي يخبره جماعة
بخبر متواتر لا يمكنه ان يدرك انه استفاد
اليقين من قول واحد معين بل من حيث لا
تدري ولا تخرج عن جملة المخبرين ولا تعين
له الاحاد فهذا هو الايمان القوي العلمي واما
الذوق فهو كالمشاهدة والاخذ باليد ولا

يوجد الا في طريق الصوفية فهذا القدر من ذكر
حقيقة النبوة كاف في الغرض الذي افقده
الان وسا ذكره في وقت الحاجة الى ذكره
ان شاء الله تعالى ثم اني لما واظبت على العزلة
والخلوة قريبا من عشرسنين وبان لي في اثنا
ذلك على الضرورة من اسباب لا احصيها
ومنها انه بان لي بالذوق مرارا ان للانسان
بدنا وقلبا واعني بالقلب حقيقة روحه
التي هي محل معرفة الله دون اللحم تشارك
فيه الميت والبهيمة وان البدن له صحة
به سعادته ومرض فيه هلاكه وان القلب
كذلك له صحة وسلامة ولا ينجو الا من اتى
الله بقلب سليم وله مرض فيه هلاكه ان لم
يتداركه كما قال الله تعالى في قلوبهم مرض
وان الجهل بالله مهلك وان معصية الله تعالى
لمتابعة الهوى هو داؤها المرض وان معرفة
الله ترياقه المحيي وطاعة الله مخالفة الهوى

الهوى دواؤها الشافي وانه لا سبيل الى
معالجته بازالة مرضه وكسب صحته الا بدوائه
كما لا سبيل الى معالجة البدن الا بذلك
وكما ان ادوية البدن يوثق في كسب الصحة
بخاصية فيها لا تدركه العقلاء ببضاعة
العقل بل يجب فيها تقليد الاطباء الذين
اخذوها من الانبياء الذين اطلقوا اسم
النبوة على خواص لا شيئا فكذلك بان لي
على الضرورة ان ادوية العبادات بحدودها
ومقاديرها المحدودة المقدرة في جهة
الاسباب لا ندرك وجه تاثيرها ببضاعة
عقل العقلاء بل يجب فيها تقليد الانبياء
الذين ادركوا تلك الخواص لا ببضاعة
العقل وكما ان الادوية تركب من اخلاط
مختلفة النوع والمقدار وبعضها ضعف
لبعض في الوزن فلا يخلو اخلاف مقاديرها
عن سر من قبل الخواص فكذلك العبادات

التي هي ادوية القلوب حركته من افعال مختلفة
النوع والمقدار حتى ان السجود ضعف الركوع
وصلوة الصبح نصف صلوة الظهر في المقدار
ولا يخلو ذلك عن سر من الاسرار هو من
قبل الخواص التي لا يطلع عليها الا بنور النبوة
ولقد تحامق وتجاهل حدا من اراد ان يستنبط
بطريق العقل لها حكمة او ظن انها ذكرت
على الاتفاق لا عن سر الهي فيها تقتضيها
بطريق الخاصية وكما ان في الادوية اصولا
هي اركانها وزوايد هي متمماتها لكل واحد
منها خصوص تؤثر في اعمال اصولها كذلك
السنن والنوافل كمثل آثار اركان العبادات
وعلى الجملة فالانبياء اطباء امراض القلوب
واما فائدة العمل وتعرفه انه عرفنا ذلك
وشهد بصدق النبوة داعيا نفسه عن
ادراك ما يدرك بعين النبوة واخذ بايدينا
وسلمنا اليها تسليم العميان الى القائدين وتسليم

وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء المشفقين
فاني ههنا اجري العقل وعطاوه وهو
معزول عما بعد ذلك الا عن تفهم ما يلقنه
الطبيب اليه فهذه امور عرفناها بالفروة
الجارية مجرى المشاهدة في مدة الخلق والعلة
القول في سبب معاودتي النشر العلم بعد
الاعراض عنه ثم راينا فتور الاعتقاد في
اصل النبوة ثم حقيقة النبوة ثم في العمل
بما شرحته النبوة وحققنا شيوع ذلك من
الخلق فنظرت الى اسباب فتور الخلق وضعف
ايمانهم بها فاذا هي اربعة سبب من الخائضين
في علم الفقه وسبب من الخائضين في علم
التصوف وسبب من المنتسبين الى دعوى
التعلم وسبب من معاملة الموسومين من
العلماء فمامن الناس فاني شعب من احاد
الخلق اسيل من بعضهم في متابعة الشرع
واسيله عن شبهته وابحث عن عقيدته

وسرع وقول له مالك تقصر عن متابعة
الشرع فان كنت تؤمن بالآخرة وليست
تستعدلها وسعها الدنيا فهذه حماقة
فانك لا تسع الاثنين بواحد فكيف تسع
الآخرة له بايام معدودة وان كنت لا
تؤمن فانت كافر فدبر لنفسك فى طلب
الايمان وانظر ما سبب كفرك الخفى الذى
هو مذهبك باطنا وهو سبب جرتك ظاهرا
فان كنت تصرح به بحملا للايمان وشرفا
بذكر الشرع فقابل بقوله لو وجبت المحافظة
على ما تقول لكان العلماء اجدر بذلك و
فلان من المشهورين من الفضلاء لا يصلى
وفلان يشرب الخمر وفلان ياكل الحرام من اموال
الاوقاف واموال اليتامى وفلان اداره
السلطان ولا يحترز من الحرام وفلان يأخذ
الرشوة على القضاء والشهادة وهلم جرا
الى امثاله وقابل ثان يدعي علم التصوف
فنزعم انه بلغ مبلغا ارتقى عن الحاجة
الى العبادة وقابل ثالث تعلل بشبهة اخرى
من شبهات اهل الاباحة وهم الذين
ضلوا عن طريق التصوف وقابل رابع لقى
اهل التعليم فقول لكم مشكل والطريق
اليه مفسد والاختلاف فيه كثير وليس
بعض المذاهب اولى من بعض وادلة العقول
متعارضة فلا ثقة برأي اهل الرأي و
الداعي الى التعليم متحكم لا حجة له فكيف
يدع اليقين بالشك وقابل خامس يقول
لست افعل هذا تقليدا ولكني قرأت هذا
علم الفلسفة وادركت حقيقة النبوة
وان خالصها يرجع الى الحكمة والمصلحة
وان المقصود من بعثتها ضبط عوام الخلق
وبقدمهم عن التقابل والتنازع والاسراف
في المشهورات فانا من العوام الجهال حتى
ادخل في حجر التكليف وانا انا من الحكماء

اتبع الحكمة وانا نصرها مستغن فيها عن التقليد
سدا منتهى ايمان من قرا الفلسفة الالهيين منهم
ويعلم ذلك من كتب ابن سينا وابى نصر الفارابى
وهولا المتجلون منهم بالاسلام وربما يرى
لواحد تقراء القران وحضر الجماعات والصلوة
ويعظم الشريعة بلسانه ولكنه مع ذلك لا يترك
شرب الخمر وانواعا من الفسق والجحود واذا
قيل له ان كانت النبوة غير صحيحة فلم يصلى
يقول رياضة الجسد وعادة البلد وحفظ المال
والولد وربما قال الشريعة صحيحة والنبوة حق
وقال لم اشرب الخمر وقولك انما نهى عن الخمر لانها
تورث العداوة والبغضاء، وانا لحكمى منزه عن ذلك
وانما اقصد به تسخيد خاطرى بحيث ان ابن سينا
ذكر فى وصيته له كنت فيها انها عاهد الله
تعالى على كذا وكذا وانه يعظم الاوضاع الشرعية
ولا ينقص فى العبادات السنية ولا شرب
لها بل تراويا وكان منتهى حالته فى ضعف الايمان

والتزام العبادات ان استثنى شرب الخمر لعرض
التشفى فهذا ايمان من يدعى الايمان منهم وقد
انخدع بهم جماعة وزادهم انخداعا ضعف
اعتراض المعترضين عليهم اذا اعترضوا عليهم
بمجاهدة الهندسة والمنطق وغير ذلك مما هى
ضرورية لهم على ما سهنا عليه من قبل
فلما رأيت اصناف الخلق قد ضعف ايمانهم الى
هذا الحد بهذه الاسباب ورأيت نفسى مبتلى
بكشف هذه الشبهة حتى كان اقدام هولا،
ايسر عندى من شربة ماء لكثرة خوضى فى
علومهم وطرقهم اعنى طرق الصوفية والفلاسفة
والتعليمية والمرسمين من العلماء، القدح
فى نفسى ان ذلك مع هذا الوقت محتوم
مما يعينك الخلوة والعزلة وقد عم الداء
ومرض لا طبا، واشرف الخلق على الهلاك
ثم قلت فى نفسى مبتدئا تشتغل انت بكشف هذه
العلوم ولو استغنت بدعوة الخلق عن طريقهم

الى الحق لعادك اهل الزمان باجمعهم واني
لعادهم وكف لعاسهم ولا يتم ذلك الا بزمان
مساعد وسلطان متدين قاهر فترخصت
بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة
تعللا بالعجز عن اظهار الحق بالحجة فقدر الله
تبارك وتعالى ان حرك داعيه سلطان
الوقت في نفسه لا تحريك من خارج فامر
الراعي بالنهوض الى نيشابور لتدارك
هذه الغيرة وبلغ الالزام حدا كان منتهى
لو اصرت على الخلاف الى حد الوحشة فخطر
لي ان شيئا الرخصة قد ضعف فلا ينبغي
ان يكون باعثك على ملازمة العزلة الكسل
والاستراحة وطلب عافية النفس وصونها
عن اذى الخلق ولم يرخص لنفسك لعمر اناة
الخلق والله تعالى يقول الم احسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
ولقد فتنا الذين من قبلهم الاية ويقول عز

عز وجل لرسوله وهو اعز خلقه ولقد كذبت
رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا
حتى اتاهم نصرنا لا مبدل لكلمات الله ولقد
جاءك من نبأ المرسلين ويقول عز وجل
لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون
الى قوله انما تنذر من اتبع الذكر فشاورت
في ذلك جماعة من ارباب القلوب والمشاهدات
فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة والخروج
من الزاوية وانضاف الى ذلك منامات من
الصالحين كثيرة متواترة تشهد بان هذه
الحركة مبدأ خير ورشد فقدر الله تعالى
على رأس هذه المائة وقد وعد الله سبحانه
وتعالى باحياء دينه على رأس كل مائة فاسبحكم
الرجاء وغلب وحسن الظن بهذه الشهادات
وبشر الله تعالى الحركة الى نيشابور للقيام
بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين
واربعمائة وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة

من سنة ثمان وثمانين وبلغت هذه العزلة
احدى عشر سنة هذه حركة قدر الله تعالى
وهي من عجايب تقديراته التي لم يكن لها
انفتاح في القلب هذه العزلة كما لم يكن الخروج
من بغداد والنزوع عن تلك الاحوال
مما خطر امكانه بالبال اصلا والله تعالى مقلب
القلوب والاحوال وقلب المؤمنين بين اصبعين
من اصابع الرحمن وانا اعلم واني ان رجعت
الى نشر العلم فارجعت فان الرجوع عود الى
ماكان وكنت في ذلك انشر العلم الذي
يكتسب به الجاه وادعو اليه بقوتي وعلمي
وكذلك قصدي ونيتي وانا الآن ادعو
الى العلم الذي به ترك الجاه ويعرف به
سقوط رتبة الجاه هذا هو الآن منتهى
قصدي وامنيتي يعلم الله ذلك مني وانا
اتمنى ان اصلح نفسي فيعزى وليستدرك
اصل اني مرادي ام احرم عن غرضي لكن

لكن او من ايمان تتمن ومشاهدة انه لا حول
ولا قوة الا بالله واني لم اتحرك وكنتم حركتي
اني ولم اعمل وكنتم استعملتني فاسئله ان
يصلحني اولا ثم يصلح ثانيا ويهديني ثم
يهديني وان يريني الحق حقا ويرزقني اتباعه
والباطل باطلا ويرزقني اجتنابه ونعود الآن
الى ما ذكرناه من اسباب ضعف الايمان وذكر
طريق ارشادهم واسعادهم من مهالكهم اما الذين
ادعوا الحرفة بما سمعوه من اهل التعليم فعلاجه
ما ذكرناه في القسطاس المستقيم ولا نطول
بذكره هذه الرسالة واما ما توهمه اهل الحرفة
فقد حصرنا شبههم في سبعة انواع وكشفناها
في كتاب كيمياء السعادة واما من فسد
ايمانه بطريق الفلسفة حتى انكر اصل النبوة
فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجوبها بالضرورة
بدليل وجود خواص الادوية والسحم وغيرها
وانا التزمنا هذه المقدمة لاجل ذلك واوقفنا

الدليل من خواص النجوم والطب لانه من نفس
علومهم ونحن نبين لكل عالم نعت من العلوم
كالنجوم والطب والطبيعة والطلسمات
مثلا من نفى علمه برهان النبوة واما من
اثبت النبوة بلسانه وسوى او ضاع الشرع
على الحكمة وهو على التحقيق كافر بالنبوة انا
هو مؤمن بحكيم له طابع مخصوص يقتضى طالعه
ان يكون متبوعا وليس هذا من النبوة
في شيء بل الايمان بالنبوة ان يؤمن بامر
طور وراء العقل يفتح فيه عين يدرك
بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها
كعزل العين عن ادراك الاصوات وجمع
الحواس عن ادراك المعقولات فان لم يجوز
هذا وقد اقمنا البرهان على امكانه بل على
وجوده وان جوز هذا فقد ثبت ان ههنا
امورا تتبع خواصا لا يدرك بصر العقل حوالها
امثلا بل يكاد العقل يكذبها ويقتضي باستحالتها
باستحالتها فان وزن دانق من الياقوت
سم قاتل لانه يجمد الدم في العروق لفرط برودته
والذي يدعي علم الطبيعة يزعم انه انما يرد
المركبات لتعفن الماء والتراب فيهما العفن
البارد اذ ومعلوم ان ارطالا من الماء
والتراب لا يسع برودها في البدن الى
هذا الحد ولو اضر طبيعي بهذا ولم يجربه لقال
هذا محال والدليل على استحالته ان فيه
نارية وهوائية والهوائية والنارية لا
يبرح برودة وقدر الكل ماء وترابا فلا
يوجب هذا الافراط في التبريد واذا تضم
اليه حار ان فان لا يوجب اولى ونقدر
هذا برهانا واكثر برهان الفلاسفة
والطبعيات والالهيات مبني على هذا
الجنس فانهم تصوروا الامور على قدر ما عقلوا
وما لم يبلغوه قدروا استحالته ولو لم يكن الرؤيا
الصادقة وجدوها ما لو فقد فادعى مدعي انه

عند ذكورا لخواص بعلم الغيب لا نكره المتصرفون
مثل هذه العقول ولو قيل لواحد هل تجوز
ان يكون في الدنيا شيء هو بمقدار هو بمقدار حبة
يوضع في بلد يأكل ذلك بجملته ثم يأكل بعضه
ولا يبقى هو في نفسه يقال هذا محال ومن جملة
المحالات وهذه حالة النار سكرها من لم
ير النار واكبر انكار عجائب الاخرة هو من
هذا القبيل فعقول للطبعي قد اضطرت
الى ان تقول في الاعيان خاصية في
التبريد لس على قياس المعقول بالطبيعة
فلم لا يجوز ان يكون في الاوضاع الشرعية
من الخواص في مداواة القلوب وتصفيتها
ما لا يدرك بالحكمة العقلية بل لا يتصور
ذلك الا بعين النبوة بل قد اعترف الخواص
هي اعجب من مما اورده في كتبهم وهو من الخواص
العجيبة المجربة في معالجة الحامل التي عسر عليها
الطلق هذا الشكل يكتب على حريرة ثم يصبها

ما، وينظر اليها الحامل يعنيها وتصبها تحت
قدميها فسرع الولد في الخروج
وهذه صورته وقد اعترفوا بامكان ذلك
واوردوه في عجائب وهو شكل فيه تسعة
بيوت يرقم فيها رقوم مخصوصة يكون مجموع
ما في الجدول الواحد خمسة عشر قراته
في طول الشكل او في عرضه او على الاريب
فلست شورى من تصدق بذلك لم لم يسع
عقله للتصديق بان تقدير صلوة الصبح
ركعتين والظهر اربع ركعات والمغرب
ثلث هو كخواص عرف علومه بسط الحكمة
وسببها اختلاف هذه الاوقات وانا نرد
هذه الخواص بنور النبوة والعجب انا لو عزنا
العبارة الى غاره المجنون لعضدوا املاء
هذه الاوقات فقول الشمس تختلف الوقت
والطالع بان يكون الشمس في وسط السماء
او في الطالع او في الغارب حتى سواء على

هذا فى سرايهم اختلاف الهلاج وتفاوت
الاعمار والاجال ولا فرق بين الزوال
وبين كون الشمس فى وسط السما، ولا بين
المغرب وبين كون الشمس فى الغارب فهل
يصدقه سببا لان ذلك سمعه تعاره
منجم جرب كذبه مامه مرة وهو لا ينال يعاود
تصديقه حتى لو قال له المنجم مثلا اذا كانت
الشمس فى وسط السما، ونظر اليها الكوكب
الفلانى فلست ثوبا جديدا فى ذلك الوقت
فعلت فى ذلك الثوب فانه لا يلبس الثوب
فى ذلك الوقت اعتمادا على قول المنجم
وربما اسى الى الشديد فلا يلبسه هذا
وقد جرب كذب ذلك المنجم مرات فليت
شعرى الذى يتسع عقله لقبول هذه
ويضطر الى الاعتراف بانها خواص معرفتها
تعجز بعض الاشياء كيف ينكر مثل ذلك
فيما يسمعه من قول نبى صادق مؤيد بالمعجزات ثم

لم يعرف قط بالكذب ولم يتسع لامكان هذه
الخواص فى اعداد الركعات ورمى الجمار وعداد
اركان الحج وسائر تعبدات الشرع فلم يجد
بينها وبين خواص الادعية والنجوم فرقا
اصلا فان قال قد جربت شيئا من النجوم
وشيئا من الطب فوجدت بعضه صادقا
فيقدح فى نفسى تصديقه وسقط عن قلبه
استبعاده ونفيه وهذا لم اجربه فلم اعلم
وجوده وحققه فان اقررت بامكانه
فاقول انك لا تعرف تصديق ما جربته
بل سمعت اخبار المخبرين وقلدتهم فاسمع
اقوال الانبياء، فقد جربوا وشاهدوا
الحق فى جميع ما ورد به الشرع اذا سلك سبيلهم
تدرك بالمشاهدة بعض ذلك على انى
اقول وان لم تجرب بعض عقلك بوجوب
التصديق والاتباع قطعا فانا لو فرضنا
رجلا بالغا وعقلا ولم تجرب فرض وله والد

مشفق حاذق بالطب لسمع دعواه معرفة
الطب من عقل مخالفه والده وورآه وقال
هذا يصلح لمرضك ويشفيك من سقمك
فاذا تقتضيه عقله وان كان الدوا
مراكدته المذاق ان ساول او يكذب
ويقول انا لا اعرف مناسبة هذا الدوا
لتحصيل الشفا، ولم اجربه فلا اشك انك
ستحمقه ان فعل ذلك وكذلك يسحقك
اهل البصايرة في توقفك عن قبول قول
النبي ﷺ فان قلت فبم اعرف شفقة النبي
ومعرفته بهذا الطب فاقول وباذا
عرفت شفقة والدك فان ذلك ليس امرا
محسوسا بل عرفها بقرائن احواله وشواهد
اعماله في مصادره وموارده علما ضروريا
لا سيما رافه ومن نظر في اقوال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما ورد من الاخبار
باهتمامه بارشاد الخلق وتلطفه في جر الناس

الناس بانواع الرفق واللطف الى تحسين الاخلاق
واصلاح ذات البين وبالجملة الى ما يصلح به
دينهم ودنياهم حصل له علم ضروري بان
شفقته على امته اعظم من شفقة الوالد
على ولده واذا نظر الى عجايب ما ظهر عليه من
الافعال والى عجايب الغيب التي اخترعها في
القران على لسانه وفي الاخبار والى ما
ذكره مما يكون في آخر الزمان وظهور ذلك
كما ذكره علم علما ضروريا انه بلغ الطور
الذي ورآء العقل وانفتح له العين التي
ينكشف فيها الغيب والخواص والامور التي
لا يدركها العقل وهذا هو منهاج تحصيل
العلم الضروري بصدق النبي صلى الله عليه وسلم
فتامل القران وطالع الاخبار تعرف ذلك
بالعيان وهذا القدر يكفي في نسبة المتفلسفة
ذكرناه لشدة الحاجة اليه في هذا الزمان
واما السبب الرابع وهو ضعف الايمان لسوء

سره العلما، فتداوي هذا المرض بثلثة
امور احدها ان يقول ان العالم الذي
نزعم انه ياكل الحرام معرفته بذلك الحرام
لمعرفتك بتحريم الخمر ولحم الخنزير والرابل
بتحريم الغيبة والكذب النميمة وانت تعرف
تعرف ذلك وتفعله لا لعدم ايمانك
بانه معصية بل لشهواتك الغالبة عليك
فشهوته كشهوتك وقد غلبته فعلمه سايله
ورآهن تميزها عنك لاناسب زيادة
زجر عن هذا المحظور المعين كم من مريض
مصدق بالطب لا يصبر عن الفاكهة
وعن الماء البارد وان زجره الطبيب عنه
ولا يدل ذلك على انه غير ضار ولا على ان
الايمان بالطب ليس بصحيح فهذا محل هفوة
العلما، والثاني ان يقال للعاصي ينبغي
ان يعلم ان العالم اتخذ علمه ذخرا لنفسه
في الاخرة ويظن ان علمه ينجيه ويكون شفيعا

شفيعا له حتى تساهل معه في اعماله الفضلة
علمه وان جاز ان يكون علمه زيادة حجة
عليه فهو يجوز ان يكون درجة له وهو ممكن
فهو وان ترك العمل فمدلي العلم وما انت
ايها العاصي اذا نظرت اليه وتركت العمل وانت
عاطل عن العلم فهلك ولا شفيع لك من
علم ولا عمل والثالث وهو الحقيقة ان العالم
الحقيقي لا يعارف معصية الا على سبيل
الهفوة ولا يكون مصرا على المعصية
اصلا اذا العلم الحقيقي ما يعرف ان المعصية
سم مهلك وان الهفوة خير من الدنيا
ومن عرف ذلك لا يبيع الجد بالذي هو
ادنى وهذا العلم لا يحصل بانواع العلوم
التي يشتغل بها اكثر الناس فلذلك لا
يزدجم ذلك العلم الا جرأة على معصية
الله سبحانه واما العلم الحقيقي فيزيد صاحبه
خشية وخوفا ورجاء وذلك يحول بينه وبين

المعاصي الا الهفوات التي لا ينفك عنها بشر
في الفترات وذلك لا يدل على ضعف الايمان
فالمؤمن مفتن توّاب هو بعيد عن الاصرار
والا لكان هذا ما اردت ان اذكره في ذمّ
الفلسفة والتعليم وآفاتهما وابات من
انكر عليهم لا بطريقه ونسأل
الله تعالى ان يجعلنا من
آثره واجتباه الى
الكنز وهداه
والهمه ذكر صنيعه
وعصمه من شر نفسه حتى لا تؤثر سواه واستخلصه
لنفسه حتى لم يعبد الا اياه تمّ
بعون الله وحسن
توفيقه
م

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله على موجب ما هدانا الى حمده ووفقنا
للقيام بشكره والصلوة على محمد اشرف من
انتسب الى آدم وعلى صحبه الاخيار اما بعد لكل
صناعة اهل يعرفها قدرها ومن اهدى لفايس
صناعة الى غير اربابها فقد ظلم وهذا على نفيس
مضنون به على غير اهله فمن صانه عمن لا يعرفه فقد قضى
حقه واكرمت بهذا العلق على سبيل التهادى اخى
وعزيزى احمد صانه عن الركون الى دار الغرور
واهله لمعرفة بعض حقايق الاشياء التى كانت معرفة
جميعها مطلوبة لسيد ولد آدم عليه السلام حيث قال
ارنى الاشياء كما هى وهذا العلق المضنون به على غير
اهله يشتمل على اربعة اركان الركن الاول فى معرفة
الربوبية الركن الثانى فى معرفة الملايكة الركن الثالث
فى حقايق المخلوقات الركن الرابع فى معرفة ما بعد
الموت والانتقال من الدنيا الى العقبى وفقنا الله
الى ما يحب ويرضى فانه خير موفق ومعين الركن الاول

فى معرفة الربوبية قيل الزمان لا يكون بحسب
الزمان وخلق الزمان فى الزمان امر محال
واليوم هو الكون الحادث فى اللغة وايام الله
تعالى حيث قال وذكرهم بايام الله مراتب مخلوقاته
ومصنوعاته ومبدعاته من وجه منها قوله تع
فى اربعة ايام فيوم مادة السماء ويوم صورتها
ويوم كواكبها ويوم نفوسها وقوله تعالى خلق
الارض فى يومين المادة والصورة ومادة
السموات مادة روحها صورة واحدة ومادة
الارض مادة مشتركة بين ازواج وفحول وهى احسن
لانها موسسة لقبول كل ناكح منفعل الجماد والمعدنيات
داخلة فى الجماد والنبات والحيوان الجسم و
الانسان والانوار العلوية والاجرام السماوية
وصف الارض والماء والهواء والنار والانوار
العلوية والاجرام السماوية كل ما هو فوق
الارض فهو سماء من طريق اللغة لان اهل اللغة
يقول كل ما هو علاك فهو سماؤك وكل ما هو

دون الفلك فهو بمعنى فلك القمر بالنسبة الى الافلاك
ارض بقوله ٢ ومن الارض مثلهن الاولى كرة النار
والثانية كرة الهواء والثالثة كرة الطين المخفف
الذى فوق الارض والرابعة الماء والخامسة الارض
البسيطة والسادسة الممتزجات من هذه الاشياء
والسابعة الانار العلوية **فصل** فلما تتفاوت الكائنات
الارتقاء من الاخس الى الاشرف حتى ينتهى
الى واجب الوجود كما قال تعالى وان الى ربك
المنتهى نوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ان
السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما الاول
انطباق فلك البروج على معدل النهار والفتق بعد
الرتق طول الليل **فصل** الرزق مقدر مضمون
وهو من المعقولات لا من المنقولات لان الحق
تعالى عقل ذاته وما يوجبه ذاته فهو قد عقل جميع الموجودات
وان كان بالقصد الثانى وانما يوجب وجود كل
واحد منها اعنى من الموجودات المبدعات على ما وجد
لانه سبحانه وتع يعقل وجود الكل من ذاته فكما ان تعقله ذاته

لا تتغير البتة كذلك تعقله لكل ما يوجبه ذاته ولكل
ما يعقل وجوده من ذاته لا يتغير بل بحسب وجود
كل ذلك ووجود انواع الحيوانات وبقاؤها
متعقل لا شك فيه خصوصا النوع الانسانى والنوع
انما يبقى مستحفظا بالاشخاص وبلوغ كل شخص الى الغاية
التى يمكن ان يولد شخصا آخر مثله لا يمكن الا ببقائه
مدة وبقاؤه تلك المدة لا يصح الا بما فيه قوام الحيوة
وقوام الحيوة بالرزق لانه تعالى يعقل وجود الكل
من ذاته ووجود ما يعقله من ذاته واجب ويعقل
بقاء النوع الانسانى ببقاء الاشخاص وتناسلهم
ببقاء كل شخص مدة بما فيه قوام حيوته وهو الرزق
والرزق انما يكون من النبات والحيوان وهما
الخبز واللحم والفواكه من جملة النباتات واكثر
الحلاوى فوجب ان يكون الرزق مضمونا بتقدير
الرؤف الرحيم لذلك قال تعالى وفى السماء رزقكم
وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل
ما انكم تنطقون **فصل** من لا يعرف حقيقة

ويعقل تناسلهم

الرؤيا لا يعرف اقسام الرؤيا ومن لا يعرف
حقيقة رؤيا الرسول عليه السلام وسايرالرسل بل
دونه الذين ماتوا لا يعرف رؤية الله تعالى في
المنام وتصور العامي ان من رأى رسول الله في
المنام فقد رأى حقيقة شخصه وكما ان المعنى الذي وقع في
النفس حاكى الخيال عنه بلفظ فكذلك كل نفس ارتسم
في النفس تمثل الخيال له صورة ولا ادري انه كيف
يتصور رؤية شخص الرسول في الرؤيا وشخصه مودع
في ارض المدينة وماشق القبر وماخرج الى موضع يراه
النايم والمسلم فربما يراه النايم في ليلة واحدة
الف نايم في الف موضع على صور مختلفة والوهم
يساعد العقل في انه لا يمكن تصور شخص واحد في حالة
واحدة في مكانين ولا على صورتين طويل وربع و
شاب وكهل وشيخ ومن لا يحيط معرفة بفساد
هذا التصور فقد قنع من غريزة العقل بالاسم والرسم
دون الحقيقة والمعنى ولا ينبغي ان يعاتب بل
لا ينبغي ان يخاطب فلعله يقول ما يراه مثاله

لا شخصه ويقال هو مثال شخصه ومثال روحه المقدسة من
الصورة والتشكل فان قال هو مثال شخصه فاي حاجة
الى تمثل شخصه وشخصه في نفسه متخيل ومحسوس ومن
راى شخصه بالموت دون الروح فكانه ما راى النبي
بل راى جسما كان يحرك بتحريك النبي عليه السلام وكيف
يكون اشكال برؤية مثال شخصه بل الحق انه مثال
روحه المقدسة التي هو محل النبوة فاذا راه من التشكل
ليس هو روح النبي وجوهره ولا شخصه بل مثال على
التحقيق فان معنى قولهم من راني في المنام فقد راني
فان الشيطان لا يتمثل بي الا ان ما راه مثال
واسطة بيني وبينه من تعريف الحق اياه فكما ان
روح النبوة اعني الروح المقدسة الباقية من
النبي عليه السلام بعد وفاته منزهة عن اللون والشكل
والصورة ولكن تعريفاته الى الامة بواسطة مثال
صادق حتى ذلك المثال هو شكل للون وصورة
وان كان حيوة النبوة منزها عن ذلك فكذلك
ذات الله تعالى منزها عن الشكل والصورة ولكن

ينتهي تعريفانه الى العبد بواسطة مثال محسوس من
نور او غيره من الصورة الجميلة التي تصلح ان تكون
مثالا للجمال المعنوي الحقيقي الذي لا صورة فيه ولا لون
ويكون لك المثال صادقا وحقا وواسطة في التعريف
فيقول النايم رايت الله تعالى في المنام لا بمعنى انه رأى
ذات البنى وروحا وذات شخصه بل بمعنى انه رأى مثاله
فان قيل ان البنى عرض له مثل والله ليس له فلنا
هذا جهل بالفرق بين المثل والمثال فان المثل عبارة
عن المثل فالمثل عبارة عن المساوي في جميع الصفات
والمثال لا يحتاج فيه الى المساواة فان للعقل معنى
لا يماثله غيره ولنا ان نتصور له مثالا لما بينهما من
المناسبة في شيء واحد وهو ان المحسوسات
تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات
بالعقل فهذا القدر من المناسبة كاف في المثال بل
السلطان يمثل في النوم بالشمس والقمر بالوزير
والسلطان لا يماثل الشمس بصورة ولا بمعناه
ولا الوزير يماثل القمر الا ان السلطان له اعلاء

على الكافة ويعم اثر الجميع والشمس يناسبه في هذا
القدر والقمر واسطة بين الشمس والارض فاضه
اثر العدل فهذا مثال وليس بمثل والله يعالى الله
نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح فاي مماثلة بين نوره وبين الزجاجة والمشكوة
والشجرة والزيت قال الله يعالى انزل من السماء ماء فسالت
اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا الاية ذكر
ذلك مثيلا للقرآن والقرآن صفة حديثة لا مثل له فكيف
صار الماء مثالا له وكم من المنامات عرضت على
رسول الله من دويبة لبن او حبل والقرآن لا في
مناسبة وهو ان الحبل تمسك للنجاة واللبن غذاء الحيوة
الظاهرة والكلام غذاء الحيوة الباطنة فهذه كلها
مثال وليس بمثل بل هذه الاشياء لا مثل له بل له امثلة
محاكية لمناسبات معقولة من صفات الله يعالى فاذا
عرفنا ان الله يعالى كيف خلق الاشياء وكيف يعلمها
وكيف يريدها وكيف يتكلم وكيف يقوم الكلام
بنفسه مثلنا جميع ذلك للانسان ولولا الانسان

عرف من نفسه بهذه الصفات لما فهم مثاله في حق
الله تعالى جايز والمثل باطل فان المثال ما يوضح الشئ
والمثل ما يشابهه فان قيل هذا التحقيق الذي ذكرتموه
ليس بمقضي الى ان الله تعالى يرى في المنام بل الى ان الرسول
ايضا لا يرى قال المرئي مثاله لا عينه فمن رأى
في المنام فقد رأني فهو نوع تجوز معناه كأنه رأني
وما سمع من المثال كأنه سمع مني قلناه وهذا يرده القائل
بقوله رأيت الله تعالى في المنام لا غير اما ان يريد برؤيته
انه رأى ذاته على ما هو عليه فلا فاذا حصل الاتفاق على
ان ذات الله تعالى وذات النبي لا يرى في المنام
وان مثالا يعتقد انه ذات الله تعالى وذات النبي
عليه السلام يجوز ان يرى وكيف يمكن ذلك مع وجوده
في المنام وان من لم يره بنفسه فقد تواتر اليه من جماعة
انهم رأوا ذلك الا ان المثال المعتقد قد يكون صادقا
وكاذبا ومعنى الصادق ان الله تعالى جعل رؤياه
واسطة بل هذا المثال واسطة بين الرائي وبين النبي
في تعريف بعض الامور وفي قدرة الله تعالى خلق مثل

هذا الواسطة بين العبد وبينه واتصال الحق به وهو
موجود فكيف ينكر امكانه فان قيل اذا كان
رؤية الرسول تجوزا والتجوز انما قد اذن في اطلاقه
في حقه ولا يجوز في حق الله من الاطلاقات الا ما ورد
الاذن به فلنا قد ورد الاذن بالاطلاق في ذلك
فان الرسول عليه السلام قال رايت ربي في احسن
صورة وهذا مما ورد في الاخبار التي وردت في
اثبات الصورة لله تعالى حيث قال ان الله تعالى
خلق ادم على صورته وليس المراد به صورة الذات
اذ لا ذات لا صورة لها الا من حيث التجلي بالمثال
كما تجلى جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي وفي غيره
من الصور حتى انه رآه مرارا كثيرا وما رآه في صورته
الحقيقية الا مرة او مرتين ومثل جبريل في صورة دحية
الكلبي ليس معناه انقلبت ذات جبريل صورة
دحية الكلبي بذاته ظهر تلك الصورة للرسول مثالا
مؤديا من جبريل ما اوحي اليه وكذلك قوله تعالى فتمثل
لها بشرا سويا واذا لم يمكن ذلك استحال في ذات الملك

وانقلابا بل يبقى جبرئيل على حقيقته وصفته فان ظهر
للنبي على صورة دحية الكلبي فلا يستحيل مثل ذلك في حق
الله تعالى في يقظة ولا منام فهذا ما يدل من جهة الخبر
على جواز اطلاقه وقد ورد من السلف اطلاق ذلك
ونقلت فيه آثار واخبار ولم يرد فيه اطلاق لكنا
نقول يجوز اطلاق كل لفظ في حق الله تعالى صادق و
لا منع منه ولا يحرم اذا كان لا يوهم الخطاء عند المستمع
وهذا لا يوهم رؤية الذات عند الاكثرين لكثرة تداول
تداول الالسنة له فان فرض يوهم عنده خلاف الحق
فلا ينبغي ان يطلق هذا القول بل يفسر له معناه كما يجوز
ان يقال انا نحب الله به ونشتاق اليه ونريد لقاءه
وقد سبق الى فهم قوم من هذه الاطلاقات خيالات
فاسدة والاكثرون يفهمون معناه على وجه من غير خيال
فاسد ويرجع في هذه الاطلاقات خيال المخاطب
فمحذور الاطلاق من غير كشف ولا تفسير حيث لا ابهام
ويجب الكشف عند الابهام وعلى الجملة هذا يرد الحلاف
الى اطلاق اللفظ وجوازه بعد حصول الاتفاق على حظ

المعنى من ان ذات الله تعالى مرئي والمرئي متلون و
ظن من ظن استحالة المثال في حق الله به وبصفاته
الامثال وينزهه عن المثل ولا ينزهه عن المثال وله
المثل الاعلى **فصل** قوله به قل هو الله احد فرق
بين الواحد والاحد قال الله به والهكم اله واحد فيقال
الانسان شخص واحد وصنف واحد والمراد به انه
جملة هي جملة واحدة ويقال الف واحد والواحد المشار
اليه من طريق العقل والحس هو الذي يمتنع مفهومه عن وقوع
الشركة فيه والاحد هو الذي لا تركيب فيه ولا اجزاء
له بوجه من الوجوه فالواحد نفي الشريك والمثل والاحد
نفي الكثرة في ذاته وقوله به الله الصمد والصمد الغني
المحتاج اليه غيره وهذا دليل على ان الله به احدي الذات
وواحد لانه ليس له شريك لو كان له شريك في ملكه
لما كان صمدا غنيا تحتاج اليه غيره بل يحتاج هو ايضا
الى شركه في المشاركة والتبنية ولو كان له اجزاء
تركيب وحد لما كان صمدا غنيا تحتاج اليه غيره بل
هو محتاج في قوامه ووجوده الى اجزاء تركيبه وحده

فالصمدية دليل على الواحدية والاحدية لم يلد ولم يولد دليل
على ان وجوده مستمر ليس له مثل وجود الانسان
الذى بقى نوعه بالتوالد والتناسل بل هو وجود مستمر
ازلى وابدى ولم يولد على ان وجوده ليس مثل وجود
الانسان الذى يحصل بعد العدم ويبقى دايما مانى جبلته
عالية لا تنفى وامانى هاوية لا تنقطع ولم يكن له كفوا
احد دليل على ان الوجود الحقيقى له تبارك وتعالى
هو الوجود الذى يفقد وجود غيره ولا يستفيد
الوجود من غيره ليس الا له تبارك وتعالى فقوله قل هو
الله احد دليل على اثبات ذاته المنزه المقدس والصمدية
نفى واضافة نفى الحاجة عنه واحتياج غيره اليه ولم يلد
الى اخر السورة سلب ما يوصف به غيره فلا طريق
الى معرفة ذات الله تعالى ابين واوضح من سلب
صفات المخلوقات عنه فصل يتخيل بعض
الناس كثرة فى ذات الله تعالى من طريق تعدد
الصفات وقد صح قول من قال فى الصفات
لا هو ولا غيره وهذا التخيل نتج من توهم التغاير

ولا تغاير فى الصفات مثال ذلك ان انسانا
يعلم صورة الكتابة وله علم تصور بسم الله التى
يظهر تلك الصورة على القرطاس وهذه صفة واحدة
وكمالها ان يكون المعلوم تبعا لها فانه اذا حصل
العلم بتلك الكتابة ظهرت الصورة على القرطاس
بلا حركة يد ووساطة قلم ومداد فهذه الصفة
من حيث ان المعلوم انكشف بها يقال له علم ومن
حيث ان الالفاظ يدل عليها يقال له كلام فان
الكلام عبارة عن مدلول العبارات من حيث ان
وجود المدلول تبع لها يقال لها القدرة ولانها
مهما بين العلم والقدرة والكلام فان هذه صفة واحدة
فى نفسها ولا تكون هذه الاعتبارات الثلث واحدة
وكل من كان اعور ينظر بالعين العوراء فلا يرى
الا مطلق الصفة فيقول هو هو واذا التفت الى
الاعتبارات الثلث يقال هى عبرة ومن اعتبر
مطلق الصفة مع الاعتبارات فقد نظر بعينين
صحيحتين اعتقد انها لا هو ولا غيره والكلام فى صفات

الله تعالى وان كان متناسبا لهذا المثال فهو مثال
له بوجه ما وتفهم هذا المعنى بالكتابة عسير غير يسير
واما الوهم الذى وقع لبعض الناس ان المثال
فى حق الله تعالى واوصاف الله لا يجوز فيرفعه ان ذلك
المتوهم لم يميز بين المثل والمثال فان المثال محتاج
اليه كما ذكرناه فى ان يسرف للمعنى المعقول من الصورة
المحسوسة صورة يوضح ويوضح ذلك المعنى المعقول الى
فهم المستفيد واما المحسوس فلا يحتاج الى مثال لان
المحسوس بعينه مندرج فى الخيال لا يرى ان من راى
المقدحة والزبد والنار التى تحصل بينهما الى مثال لهذه
الاشياء ولكن المعقول المحض الذى لا يندرج فى
الخيال ولا يضبطه الخيال فانه يحتاج الى الاستعانة
بالخيال حتى يصل الى فهم الضعفاء وليس لله تعالى
مثل كما قال ليس كمثله شئ ولكن له مثال وقول النبى
عليه السلام ان الله خلق ادم على صورته اشارة
الى هذا المثال فانه لما كان حيا وتقدس موجودا قائما
بنفسه حيا سميعا بصيرا عالما قادرا مريدا متكلما فا

فالانسان كذلك وان لم يكن الانسان بهذه
الاوصاف موصوفا ما عرف الله حق ولذلك
قال النبى عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه فان كل
ما لم يجد الانسان فى نفسه مثالا يعسر عليه التصديق
والافراد وقد اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء
ايها الانسان اعرف نفسك تعرف ربك ولذلك
لا يحيط علم الانسان باخص وصف الله حق لانه ليس
فى المبدعات ولا فى المخلوقات مثال وانموذج
من ذلك الوصف الخاص الذى له حق لان الانسان
انما يسمى انسانا بعد معرفته اياه واذا لم يكن الانسان
اليه طريق وانموذج ولا علم له به ولا اسم له عنده
ولا علامة فكيف يعرفه ولذلك لا يعرف الله الا
اغبى اخص وصفه وكنه معرفته فمن قال ان الانسان
حى عالم قادر سميع بصير متكلم مريد والله تعالى كذلك
لا يكون القائل مشبها فان التشبيه اثبات المشترك
فى الوصف الاخص ومن قال ان السواد عرض موجود
ومعلوم لا يكون مشبها للسواد البياض فان الاشتراك

في اللونية والعرضية والوجود لا يكون تبيينها بينهما
فان هذه اوصاف يعمها والموجودات كلها مشتركة
في الوجود العام ولا تماثل بينها وكذلك لا تماثل بين
السواد والبياض مع اشتراكهما في اللونية والعرضية
والوجود فالمثال في حق الله تعالى شائع جايز والمثل
مستحيل قلنا يقول الله تعالى مدبر متصرف في العالم
وليس في العالم مثال ذلك فان اصل الانسان يتحرك
ويحركها في علمه وارادته وليس فيها العلم والارادة
فينفتح التفهيم بسبب في ذلك وتصوير الضعيف انه كيف
يكون مدبر فاعلا في شيء غير متجاوزله ولا حال فيه

فصل تكليف الله تعالى عباده لا يضاهي تكليف
الانسان عبده الاعمال التي ترتبط بها غرضه
وما لاحظ له فيه وما لا يحتاج اليه فلا يكلفه وتكليف
الله تعالى عباده يجري مجرى تكليف الطبيب المريض
فاذا غلب على المريض اكل الفواكه او شرب المبردات والطبيب
غني عن شربه لا يضره مخالفته ولا ينفعه موافقته
ولكن الضرر والنفع يرجعان الى المريض وانما الطبيب

هاد ومرشد فقط فان وفق المريض حتى وافق الطبيب
شفي ويخلص وان لم يوفق فخالفه تمادى المريض
وبقاؤه وهلاكه عند الطبيب شيان فانه
مستغن عن بقايه وفنايه فكما ان الله تعالى
خلق الشفاء سببا مفضيا اليه كذلك السعادة
سببا وهو الطاعات ونهى النفس عن الهوى
بالمجاهدة المركبة لها رذايل الاخلاق سببات
ورذايل الاخلاق في الاخرة مهلكات
كما ان رذايل الاخلاط ممرضات في الدنيا
ومهلكات والمعاصي بالاضافة الى حق
الاخرة كالسموم بالنسبة الى جوع الدنيا
وللنفوس طب كما ان للاجساد طبا والانبيا
عليهم السلام اطباء النفوس يرشدون
الخلق الى طريق العلاج بتمهيد الطرق المركبة
للقلوب كما قال الله تعالى قد افلح من زكيها
وقد خاب من دسيها ثم يقال ان الطبيب
امر بكذا ونهاه عن كذا فانه زاد مرضه

لانه خالف الطبيب وانه صح لانه رعى قانون الطب
ولم يقصر في الاحتماء، وبالحقيقة لم يتعاط مرض المريض
بمخالفة الطبيب يعني المخالفة بل لانه سلك عن
طريق الصحة الذي حرره الطبيب فكذلك التقوى
هو الاحتماء الذي ينفي عن القلوب امراض الاجساد
في جميع الدنيا والمثال الاخر ان ملكا من ملوك
الناس تعهد بعض عبيده الغايب عن مجلسه بمال
ومركوب ليتوجه بلقاه ليناله رتبة القرب منه
ويسعد بسببه من استغنا، الملك عن الاستغناء به
وتصمم العزم على ان لا يستخدمه اصلا ثم ان العبد
ضيع المركوب واهلكه وانفق المال لما في زاد الطريق
كان كافرا للنعمة وان ركب المركوب وانفق المال
في الطريق متردد ابه كان شاكرا للنعمة ولا ينبغي
ان يظن ان الملك اناله حظا فانه لم يزد في الاعلام
عليه وفي تكليف الحضور حظا لنفسه ولكن اراد
سعادة العبد فاذا وافق مراد السيد فيه كان
شاكرا وان خالف عدت مخالفته كفرانا والله تعالى

يستوي عنده كفر الكافرين وايمانهم بالاضافة
الى جلاله واستغنائه ولكنه لا يرضى لعباده الكفر
فانه لا يصلح لعباده فانه يشقيهم كما لا يرضى الطبيب
بهلاك المرضى ويعالجهم ولا يرضى الملك المستغني
عن عبده الشقاوة بالبعد عنه ويريد السعادة
بالقرب منه وهو غني عنه قرب او بعد فكذا
ينبغي ان يفهم امر التكاليف فان الطاعة ادوية
والمعاصي سموم وتاثيرها في القلوب لا يخوا الامن
اتى الله بقلب سليم كما لا يسعد بالصحة الا من
اتى بمزاج معتدل وكما يصح قول الطبيب للمريض
قد عرفتك ما يضرك وما ينفعك فان وافقتني
فلنفسك وان خالفت فعليها كذلك قال الله
تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن اساء
فعليها واما العقاب على ترك الامر وارتكاب
النهي فليس العقاب من الله تعالى غضبا وانتقاما
ومثال ذلك ان من غادر الوقاع عاقبه الله
بعدم الولد ومن ترك ارضاع الطفل عاقبه الله

. بهلاك الولد ومن ترك الاكل والشرب عاقبه الله
بالجوع والعطش ومن ترك تناول الادوية
عاقبه بالم المرض وغضب الله تعالى غير ارادته
الايلام فكما ان الاسباب والمسببات تتناوى
بعضها الى بعض في الدنيا بترتيب مسبب الاسباب
فبعضها يفضي الى الآلام وبعضها الى اللذات
ولا يعرف عواقبها الا الاطباء فكذلك نسبة الطاعات
والمعاصي الى الآلام الاخرة ولذاتها من غير فرق
فالسؤال عن انه لم يهلك الحيوان عن السم ولم يؤد
السم الى الهلاك ولم خلق جسد الانسان على وجه
ينفعل عنه السم او ينفعل البدن عنه وهو لا ينفعل
من البدن وكذلك الكلام في انه تعالى لم خلق نفس
الانسان على وجه يكملها او ينجيها الفضايل ويهلكها
الرذايل والله تعالى غير عاجز عن الاشياء من غير اكل
والرواء من غير شرب والانتماء من غير مصاحبة
ووقاع والانماء من غير رضاع ولكنه قد رتب
الاسباب والمسببات ولذلك سر وحكمة لا يعلمها

الا الله والراسخون في العلم وليس هذا تعجب وانما
العجب من هذا التدبير المحكم والنظام المتقن ولعمري
ان من لا يهتدي الى سر الحكمة فيه يتعجب منه لقصور
هدايته ولو كان كذلك ضاع حظ النبات و
والحيوانات والتي هي الطف الحيوانات واقربها
الى الاعتدال مثل الغنم والدراج والدجاج
وغيرها وكمال النبات ان يصير غذاء لما هو اعلى
منه بالرتبة وهو الحيوان ولذلك يقوم بدل ما يتحلل
منه فيصير جزاء منه متشبها به وهذا كماله وكذلك نسبة
الحيوانات المذبوحة الى الانسان ونسبة الانسان
الى الملايكة في جنات عدن كما قال تعالى والملايكة
يدخلون عليهم من كل باب واما كون بعض الحيوانات
العجم غذاء لبعض السباع الضارية وفي السباع الصواري
فوايد ومنافع سياسية وطبيعية ويعرفها ارباب
السياسة والاطباء ومثال من يتعجب من وضع
هذه الاشياء على ترتيب النظام الكلي على موجب
تقدير الله تعالى كمثل الاعمى الذي دخل دارا فيها عشر

بالاوانی الموضوعة فی صحن الدار فقال لاهل الدار
ما ادرک عقولکم لماذا لا یردون هذه الاوانی
الی موضعها ولم ترکتموها علی الطریق فقیل انها موضوعة
فی مواضعها وانما الخلل فی فقد البصر وکمثل الاخشم
الذی لا یدرک الروایح فیلوم واضع اللحالح والمتکات
والعواکه العطرة الطیبة بین یدیه فیقول هذا شغل
المکان فقط فقیل له فی الوجود فایدة سوی اتخاذه
علی جهة الحطب وانما المانع من ادراکه هو الخشم ومرضا
مباحث اخذ منها ان الله تعالی کیف یامر بالشیء
ویمنع من البحث عنه والبصیرة لا یحصل الا بالبحث
عنه وهذا تعجب فاسد فان العمل یستدعی اعتقادا
جازما او معرفة حقیقیة والاعتقاد الجازم یعرف
بالتقلید المجرد علی سبیل التصدیق والایمان والمعرفة
یحصل بالبرهان والوصول الیها بالبحث ولم یمنع عن
البحث الخلایق کلهم بل الضعفاء العاجزون عن
الاطلاع علی حقایق البرهان ومعضلات البحث
ومثال ذلک الطبیب الذی یامر العلیل بشرب

الدواء ویمنع عن البحث عن سبب هذا الدواء
شافیا فانه یقصر عنه فهمه ویشق علیه ویعجز عنه ویزداد
المرض ویستضر به فان وجد علی سبیل الندور مریضا
ذکیا سالکا منهاج الطب فی علل الامراض لم یمنعه
من البحث ولم یمنعه من ذکر المناسبة بین دوایه
وبین علته بل اذا علم انه لا یؤمن بمجرد قوله ولیس
تقلد بمحض التقلید لما خص به من الزکاء وما یفهم به
من العلة وفهم انه اذا افهم العلة والمناسبة اشتغل
بالعلاج وان لم یمکن بفهیم اعرض عن التقلید ووقف
علیه ذکر المناسبة والعلة ولم یمنع من البحث اذا علم
استقلاله به الا ان ذلک نادر فی المرض جدا والاکثرون
یضعفون عن ذلک وکذلک معرفة العلل والاسرار
والبحث عنها فی الشریعات من هذا القبیل واما
تسخیر البهایم للانسان مثل من یمشی خطوات مثلا
ینظر الی متنزهات ووجوه حسان فیقال له کیف
ابعث رجله وسخرها لاجل عینه والعین آلته کما
ان الرجل آلة فما بال احدهما خادمة واتعبها وجعل

الاخرى محذومة ويطلب راحتها وهذا جهل الاقدار
والمراتب بل العاقل يعلم ابدا ان الكامل يعدى
بالناقص وليستخ لاجل الكامل وهو عين الحكمة
وليس ذلك بظلم فان الظلم سو تصرف في ملك
الغير والله تعالى لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون
تصرفه فيه ظلما فلا يتصور منه ظلم بل له ان يفعل ما يشاء
في ملكه ويكون عادلا والوحي الالهي والشرع الحق
لا يرد بما ينبو عنه العقل فان ورد ان ينبو العقل
ان برهان العقل يدل على استحالة كخلق الله تعالى
مثل نفسه او الجمع بين المتضادين فهذا ما لا يرد به
الشرع فان ورد بما تقصر العقل عن ادراكه ولا
يستقل الاحاطة بكنهه فهذا ليس بمحال ان يكون
في علم الاطباء مثل جذب المقناطيس للحديد
فان المراة لو مست فوق حبة مخصوصة القت
الجنين وغير ذلك من الخواص وهذا مما ينبو
بعقل عنه يعني انه لا يقف على حقيقة ولا يستقل
بالاطلاع عليه ولا ينبو عنه الحكم باستحالته وليس كل

ما لا يدركه العقل محالا في نفسه بل لو لم يشاهد
قط النار واخبرنا مخبر وقال اني اخلق
خشنة خشنة واستخرج من بينهما شيئا احمر يعذر
عدسة ياكل هذه البلدة واهلها حتى لا يبقى منها
شيء من غير ان ينتقل ذلك الى جوفها ومن غير
ان يزيد في حجمها بل ياكل جميع البلد ثم ياكل نفسها
فلا يبقى هي والبلد لكنا نقول هذا الشيء ينبو
عنه العقل ولا يقبله وهذه صورة النار والحس
قد صدق ذلك وكذلك قد يشتمل الشرع على مثل
هذه العجايب التي ليست مستحيلة وانما هو مستبعد
وفرق بين البعيد والمحال فان البعيد ما لم يعهد
بمألوف والمحال ما لا يتصور كونه واما معنى قوله
الله عز وجل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
وقوله تعالى لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
فالسؤال قد يطلق ويراد به الالزام يقال ناظر
فلان فلانا وتوجه عليه سؤاله وقد يطلق ويراد
به الاستحسان كما يسأل التلميذ استاذه والله

لا يتوجه عليه السؤال بمعنى الالزام وهو المعنى بقوله تعالى
لا يسئل عما يفعل او لا يقال له لم ترك الالزام فاما
ان لا يستخبر ولا يستفهم فليس كذلك وهو المراد
بقوله تعالى لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وهذا
القدر كاف في جواب هذه الاسولة ومن ترقى
عن محل التقليد بادنى كياسة ولم ينته الى رتبة
الاستقلال كان من الهالكين فنعوذ بالله من كياسة
لا ينفع فان الجهالة ادنى الخلاص منه

شعر

ولم ار في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام

فصل

اذا عرفت انك حادث وان الحادث
لا يستغني عن المحدث فقد حصل لك البرهان على الايمان
بالله تعالى وما اقرب الى العقل من هذين المعرفتان
اعني انك حادث وان الحادث لا يحدث في
نفسه واذا عرفت نفسك انك جوهر خاصيتك معرفة
الله تعالى ومعرفة ما ليس بمحسوس وليس البدن قوام
ذلك فانهدام البدن لا يعدمك فقد عرفت اليوم
الآخر بالبرهان فانه لا معنى له الا ان لك يومين
يوم حاضر انت مشغول بهذا البدن ويوم آخر
انت فيه مفارق لهذا الجسد واذا لم يكن قوامك
بالجسد وقد فارقته بالموت فقد حصل اليوم
الآخر واذا عرفت انك اذا فارقت المحسوسات
بمفارقة الجسد بقيت امامنعك معرفة الله تعالى
التي هي خاصية ذاتك ومنتهى لذاتك بمقتضى طباعك
الاصلي لو لم يمرض بالميل الى الشهوات واما غدا
بالحجاب عن الله تعالى الذي هو منتهى شهوتك من
حيث الطبع الاصلي كما قال الله تعالى وحيل بينهم
وبين ما يشتهون وعرفت ان سبب المعرفة الفكر
والذكر والاعراض عن غير الله تعالى وسبب
المانع عن ذكر الله تعالى ومعرفته الاقبال على الشهوات
والحرص على الدنيا وعرفت ان الله تعالى قادر على
ان يعرف عموم عباده وذلك بواسطة الكشف
لبعض خواص عباده وعرفت انه قد فعل ذلك
فقد عرفت رسله بالبرهان وآمنت فاذا عرفت
ان هذه التعريفات للانبياء انما يكون في كسوة

الفاظ وعبارات يوحى اليهم ويلقى فى سمعهم امانى
يقظة اومنام فقد آمنت بالكتب واذا عرفت
ان افعال الله تعالى منقسمة الى ما فعله بواسطة والى
ما فعله بغير واسطة وان وسايط مخلوقة المراتب
فالوسايط القريبة هم يعبر بالملايكة
لكن معرفة هذه بطريق البرهان عسير والعقول فيه طويل
وصدق الرسل بالبرهان واكتف بذلك فانه درجة
من درجات الايمان يدفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات فصل كل ما يتوالد
فلا يستحيل ان يتولد اصلا وما يتولد لا يستحيل ان
يولد فيقول الله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة
انما عنى به الانسان التوالدى وقد يتولد العقارب
من الباذروج ولباب الخبز والحيات من العسل
والنحل من العجل المنخنق المكسر عظامه والبهق من الخل
وسام ابرص من التغبيط والخنافس من البعرة و
من نوى النبوم العقرب الجراده ومن الشعر الحيات
ومن الطين والمدر الفار ومن طين اصول القصب

الدايم الرطوبة طير ولكسيما طير الماء وامثال
ذلك كما ذكر فى كتاب الطلسمات وغيرها ثم يولد
هذا المتولد ويبقى نوعه بالتوالد وانطباق دايرة
معدل النهار على فلك البروج مما يدل على خراب
عالم السفلى وتغييره للفصول اعنى الربيع والخريف
والصيف والشتاء فلا يبقى الحرث والنسل
كما قال الله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك
ذى الجلال والاكرام اعنى على الارض فخلق الله ع
آدم من تراب ثم حصل منه التوالد ونظير ذلك
مشابهة وكذا الضايع والحرف يحصل من طريق
الالهام ثم يستفاد ويتعلم ويحصل النادر من المقدمة
والزبد ثم يقتبس بعد حصولها ذلك تقدير
العزيز العليم الذى خلق عندا نواج الدايرين
معدل النهار وفلك البروج الذى تزايد الميل
بينهما آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من
ماء مهين ثم سويه ونفخ فيه من روحه فمن شك ف
كيفية بدء الخلق وصنع الصانع الحكيم فى التوالد والتولد

فلينظر الى المحسوسات التى ذكرناها واما النشاة الاخرى
وكيفية عود النفوس والارواح الى اشباحها فمذكورة
فى بابها انشاء الله به **فصل** المبدعات المخلوقات
احدثها الله به نازلة بالترتيب فهو الاول الذى
لا اول قبله ومنه يحصل المبدعات بل الممكنات
باسرها ثم ينزل الترتيب من الاشرف حتى ينتهى
الى المادة التى هى اخس الاشياء ثم ابتداء تعالى من
الاخس عايدا الى الاشرف حتى انتهى الى الانسان
ويعود الانسان عند ذكاء نفسه الى حيث قال ارجعى
الى ربك راضية مرضية لذلك قال هو الاول والاخر
اما الظاهر فمركوز فى غرايز العقل واما الباطن فلان
وصفه الخاص لا يعرفه الا هو وربما كان باطنا لغاية
ظهوره كما ان الشمس التى هى فى غاية البعد عن هذا المثال
ظاهر باهر وسبب غاية ظهوره ما لا يدركها الحاسة
المبصرة محاذاة ومقابلة والميزان ما يعرف به حقايق
الاشياء ويميز به صحيح العقيدة عن الفاسدة وهو
الواسطة بين السماء والارض حيث قال تعالى

والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا فى الميزان
واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وذكر
الميزان سر من اسرار الربوبية لا يعرفه الا هو
والراسخون فى العلم والله اعلم **الركن الثانى فى**
معرفة الملائكة علم الملايكة والجن والشياطين جواهر
قائمة بانفسها مختلفة بالحقايق اختلافا يكون
بين الانواع ومثال ذلك القدرة فانها مخالفة
للعلم والعلم مخالف للقدرة وهما مخالفان للون
واللون والقدرة والعلم اعراض قائمة بغيرها
وكذلك بين الملك والجن والشياطين اختلاف
ومع ذلك فكل واحد جوهر قايم بنفسه قد وقع اختلاف
بين الملك والجن ولا يدرى انه اختلاف بين النوعين
كالاختلاف بين الفرس والانسان او الاختلاف
فى الاعراض كالاختلاف بين الانسان الناقص
والكامل وكذا الاختلاف بين الملك والشيطان
وهو ان يكون النوع واحدا والاختلاف واقعا
فى الاعراض كالاختلاف بين الخير والشر والاختلاف

بين النبي والولي ظاهر ان اختلافهم بالنوع والعلم
عند الله تع وهذه الجواهر المذكورة لا ينقسم على محل
العلم بالله به واحد لا ينقسم فان العلم الواحد لا يحل
الا في محل واحد وحقيقة الانسان كذلك والعلم
والجهل شيء واحد في حالة واحدة متضادان وفي
المحلين متضادين واما هذه الجوهر غير منقسم فهل هو
متحيز ام لا فهذا الكلام عايد الى معرفة الجزء الذي
لا يتجزى فان استحال الجزء الذي لا يتجزى فهذا الجوهر
غير منقسم ولا يتجزء ولا متحيز فان لم يستحل الجزء الذي
لا يتجزى ممكن ان يكون هذا الجوهر متحيزا وقد قال
قوم لا يجوز ان يكون غير منقسم ولا متحيز فان الله تع
غير منقسم ولا متحيز فما الذي يفصل هذا من ذاك
وهذا غير مبرهن لانه ربما تباينا وحقيقة الذات
وان سلب عنها الانقسام والتحيز والامور الكائنة
وتلك سلوب فالاعتبار بالحقايق كالعرضين
المختلفين بالحد والحقيقة الحالين في محل واحد
فان اجاب احتياجهما الى المحل وكونهما في المحل لا يفيد

تماثلهما فكذلك سبب الاحتياج الى المحل والمكان
لا يفيد اشتراكهما في شيء ويمكن ان يشاهد هذه الجواهر
اعني جواهر الملايكة وان كانت غير محسوسة وبد المشاهدة
على ضربين اما على سبيل التمثل كقوله تعالى فتمثل لها
بشرا سويا والقسم الثاني ان يكون لبعض الملايكة
بدن محسوس كما ان نفسنا غير محسوس ولها بدن محسوس
وهو محل تصرفها وعالمها الخاص وكذلك لبعض الملايكة
ربما كان هذا البدن المحسوس موقوفا على اشراق نور
النبوة كما ان محسوسات عالمنا هذا موقوف عند
الادراك على اشراق نور الشمس وكذا في الجن والشياطين

فصل وقوع مزاج قريب من مزاج آخر
غير مستحيل فنسبة عين بعض مزاج واحد هو قريب
الى مزاج اخر الى نفس ذلك المزاج نسبة معاونة فان
كان للانسان مزاج خاص وله نفس خاصة ثم مات
صاحب ذلك المزاج وحدث بعده مزاج آخر قريب
به وعند ذلك الادوار والتشكلات الفلكية مثال
ذلك حدث مزاج وتشكل الفلك على هيئة مخصوصة

ثم عاد تلك التشكلات باسرها عود يمكن لها وان لم يمكن
النسبة المخصوصة الى مبداء واحد لحدث مزاج استحق
المزاج الحادث نفسا اخرى فتلك النفس مع
النفس المفارقة التى كانت للمزاج المناسب لها
مناسبة ما فلا يتعلق النفس المفارقة بهذا المزاج تعلقا
كليا لاستحالة تصرف نفسين فى بدن واحد فيتعلق
بذلك المزاج تعلقا دون تعلق النفس الحادثة مع
المزاج فيزداد خيرا ان كانت خيرة وشرا ان كانت
شريرة لذلك يقال لكل انسان جنى يشاكله ويعاونه
او سلطان يغويه ويضله وان حدث مزاجان
فى زمان واحد فى بدنين او مكانين وحدثت لها
نفسان كانتا بريتان ففى الابدان مرتبان وفى
النفوس بريتان وكل من يكون مناسبة للارواح
المفارقة الى روحه اكثر عذب مما من تلك الاتصالات
انواع من الاخلاق فتكون عرافا كاهنا اوصاف
تنجم او غير ذلك وربما كانت القوم الوحية بعد
المفارقة بحيث يصير لها العالم المحسوس بدنا فلا يتعدوا

الى العالم الاعلى فيطالعه الاسباب المجذوبة فى هذا
العالم فتستفيد النفس البدنة المتصلة بها معرفة
ما والشرير منها فى غاية الشر لانها خوص من المادة
والشرير شياطين والخير من الطبقة الناقصة جن
وللجن والشياطين علايق يتمسك بها البشر وافعال
روحانية هى مولدات الافعال الطبيعية والخلاص
من المادة دليل كمال القوة سواء كانت تلك
القوة قوة رداءة وقوة خير واما القاعدون عن
اليمين والشمال فقالوا فيها ما قالوا والحق انها
سر لا يعرفه الا انبياء المرسلون عليهم السلام وملايكة
السموات المدبرون المتصرفون فى اجرام السموات
لا يعلم عداد تلك الاجرام الا الله تعالى كما قال تعالى
وما يعلم جنود ربك الا هو وملك الموت هو الملك
الذى يأمر الله تعالى بقبض الارواح متضمنا تفريق
المزاج الذى استحق قبول تلك النفس مثاله مثال
مطفئ السراج بالنفخ والنفخ نفخان نفخ يوقد
كما قال تعالى ونفخنا فيه من روحنا ونفخ يطفئ كما قال

ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في
الارض وقال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون الركن الثالث في المعجزات واحوال
الانبياء عليهم السلام من تسبيح الحصى وتقليب العصا
تسعى وكلام البهايم وكلام الشاة التي قالت للنبي
عليه السلام سمها اليهودية لا تاكل مني فاني مسمومة
وامثال ذلك على ثلثة اقسام القسم الاول الحسي
والثاني العقلي والثالث الخيالي الاول الحسي
وهو ان يخلق الله تعالى العلم والحيوة والقدرة
حتى يتكلم وفي البهيمة العقل والقدرة والنطق وذلك
ليس بمحال فان الله تعالى قادر على ان يخلق في الباز
حيوة وقدرة وسمعا ويخلق منه عقربا ويخلق في نوى
النبق كذلك ويخلق من لحوم البقر النحل ومن النطفة
الانسان وسايرالحيوانات من موادها فهو قادر
على ان يخلق باعجاز نفس مقدسة نبوية في الحصاة حيوة
ومن شاهد خلق الحية النضناضة من شعر امراة
وحسن ذلك ولا يتعجب من قلب الشعرة حية كيف

يتعجب من خلق العصى حية والحية كانت ذات
نفس نامية نباتية والشعر لم يكن قط ذا نفس
والاجسام متماثلة فكله جايز ذلك في اجسام الناس
جايز ذلك في سايرالاجسام وان كان لجسم الانساني
بسبب اعتدال المزاج قابلا لهذه الاشياء فكل جسم
مستعد لقبول المزاج المعتدل وان كان الاعتدال
موقوفا على الحرارة والرطوبة فليس ممتنع ان يكون
كل جسم قابلا للحرارة والرطوبة ويكون دعاء النبي
وهمته يؤثران في كينونة هذه الاشياء من غير مهلة
ومدة وان جرت العادة ان يخلق الله تعالى هذه
الاشياء في مدة وبذلك يظهر شرف الانبياء عليهم
السلام وخرق العادة ليس بمحال مثال ذلك
الشمس والنار فان ما يحصل من تاثير الشمس في
الانعامات وغيرها انما يحصل مدة وعلى سبيل
• التدريج وما يحصل باسخان النار يكون دفعة
فلم استحال ان يكون تاثير مراد الانبياء على وجه
يكون نسبته نسبة اسخان النار الى اسخان الشمس

القسم الثاني العقلي وهو قوله تعالى وان من شئ الا
يسبح بحمده وهو شهادة كل مخلوق ومحدث على خالقه
وموجده كشهادة الانبياء على لبانى والكتابة
على الكاتب ويقال لذلك لسان الحال والمتكلمون
يقولون هذه دلالة الدليل على المدلول والحق من
الناس لا يعرفون هذه الرتبة ولا يقرون بها القسم
الثالث الخيالي ان لسان الحال يصير مشاهدا محسوسا
على سبيل التمثيل وهذه خاصية الانبياء عليهم السلام
كما ان لسان الخيال تمثل في المنام لغير الانبياء
ويسمعون صوتا وكلاما كمن يرى في منام ان حيا يكلمه
او فرسا يخاطبه او ميتا يعطيه شيئا او يأخذ بيده او
يسلب منه شيئا او يصير ظهره اسدا او غير ذلك مما
يراه النايم في منامه فالانبياء عليهم السلام يرون
ذلك في اليقظة ويخاطبهم بهذه الاشياء في اليقظة
فان المستيقظ لا يميز بين ان يكون ذلك نطقا خياليا
او نطقا حيا من خارج والنايم انما يعرف ذلك بسبب
انتباهه والتفرقة بين النوم واليقظة ومن كانت

له ولاية تامة تفيض تلك الولاية لسعتها على
خيالات الحاضرين حتى يرون ما يراه ويسمعون
ما سمعه والتمثل والخيالي اشهر في هذه الاقسام و
والايمان بهذه الاقسام كلها واجبها واجب
فصل واما شفاعة الانبياء عليهم السلام والاولياء
فالشفاعة عبارة عن نور تشرق من الحضرة الالهية
على جوهر النبوة وينشر منها الى كل جوهر استحكمت
مناسبتها مع جوهر النبوة لشدة المحبة وكثرة المواظبة
على السنن وكثرة الذكر بالصلوة عليه وثناء له
نور الشمس اذا وقع على الماء فانه ينعكس منه الى موضع
مخصوص من الحايط لا الى جميع المواضع وانما يختص
ذلك الموضع للمناسبة بينه وبين الماء في الوضع
وتلك المناسبة مساوية عن سايراجزاء الحايط
وذلك الموضع هو الذي خرج منه خط الى موضع
النور من الماء حصلت منه زاوية الى الارض
مساوية للزاوية الحاصلة من الخط الخارج من الماء
الى قرص الشمس بحيث لا تكون اوسع منه ولا اضيق

مثال ذلك دام وهذا لا يمكن الا في موضع مخصوص
من الجدار فكما ان المناسبات الوضعية تقتضي
الاختصاص بانعكاس النور فالمناسبات المعنوية
العقلية ايضا يقتضي ذلك في الجواهر المعنوية ومن
استولى عليه التوحيد فقد تاكدت مناسبته مع الحضرة
الالهية واشرق عليه النور من غير واسطة ومن استولى
عليه السنن والاقتداء بالرسول ومحبة اتباعه
ولم يترسخ قدمه في ملاحظة الوحدانية لم يستحكم
مناسبته الا مع الواسطة وافتقر الى واسطة الما المكشوف
للشمس والى مثل هذا يرجع حقيقة الشفاعة في الدنيا
فالوزير المتمكن في قلب الملك المخصوص بالعناية
قد يفيض عن مرتبة اصحاب الوزير ويعفو عنهم لاالمناسبة
بين الملك واصحاب الوزير لكن لانهم يناسبون الوزير
المناسب للملك فافاضت العناية عليهم بواسطة
الوزير لا بانفسهم ولو ارتفعت الواسطة لم يشملهم
العناية اصلا لان الملك لا يعرف اصحاب الوزير
واختصاصهم به الا بتعريف الوزير واظهار الرغبة

في العفو عنهم فيسمى لفظ في التعريف واظهار الرغبة
شفاعة على سبيل المجاز وانما الممتنع مكانية عند الملك
وانما اللفظ لاظهار العوض والله تعالى مستغن عن
التعريف ولو عرف الملك حقيقة اختصاصه بالوزير
لاستغنى عن اللفظ وحصل العقو لشفاعة لا نطق فيها
ولا كلام والله تع علم به ولو اذن للانبيآء عليهم
السلام في اللفظ بما هو معلوم عند الله تعالى لكانت
الفاظهم الفاظ الشفعاء واذا اراد تعالى ان
يمثل حقيقة الشفاعة بمثال يدخل في الحس والخيال لم
يكن ذلك التمثيل الا بالفاظ مالوفة للشفاعة ويدل
ذلك على انعكاس النور بطريق المناسبة وان جميع
ما ورد في الاخبار عن استحقاق الشفاعة متعلق
بما يتعلق بالرسول عليه السلام من الصلوة عليه او
زيارة القبور او جواب المؤذن والدعاء له
عقيبه وغير ذلك مما يحكم علامة المودة والمناسبة
معه الركن الرابع في احوال ما بعد الموت وفصل
في عذاب القبر النفس اذا فارقت البدن وحكمت

القوة الوهمية معها كما ذكرناها وتجرد عن البدن
منزهة ليس فيضيتها شئ من الهيات البدنية
وهي عند الموت عاملة بفارقتها عن البدن وعن
دار الدنيا متوهمة نفسها الانسان المقبور الذي
مات وعلى صورة كان في الدنيا يتخيل ويتوهم
بدنها مقبورا ويتخيل الآلام الواصلة اليها على
سبيل العقوبات الحسية على ما وردت به
الشرايع الصادقة فهذا عذاب القبر وان كانت
سعيدة متخيلة على صورة ملايمة على وفق ما كان يعتقده
من الجنان والحور والانهار والحدائق والخلمان
والولدان والحور العين والكاس من المعين فهذا
ثواب القبر لذلك قال النبي عليه السلام القبر اما روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فالقبر الحقيقي
هذه الهيئة كما يخرج الجنين من القرار المكين كما
قال تعالى قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو
بكل خلق عليم وعذاب القبر وثوابه كما ذكرناها
والنشأة الاخرى خروج النفس عن عالم هذه

الهيات وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر
نارا فاذا انتم منه توقدون دليل ظاهر ومثال
بين لهذه النشأة **فصل** قوله عليه السلام
من مات فقد قامت قيامته الفاء هنا للتعقيب
يعني قامت قيامة الميت عند موته مثال ذلك
من سرق نصابا كاملا من حرز فقد استحق
قطع يده وهذا عقيب هذا الفعل لا بتاء خرعنه
وقال تعالى ايضا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله
والقيامة الكبرى ميعاد عند الله تعالى لا يجليها
لوقتها الا هو وعلمها عند الله والاوقات والازمنة
وان كانت فيه تنشأ به لكل واحد منها خواص بعض
انواع الوجود يعتبر ذلك في اوقات الحرث
والنسل وغيرهما وعند المتكلمين يرجع ذلك الى
مشية الله فانه تعالى يخصص وقتا يوجد فيه موجود
بارادته ومشيته والفلاسفة يقولون ان منادي
الحوادث حركات الافلاك وان ادوارها يختلف

وكل شكل من تشكلاته يباين غيره من التشكلات
بفرد ذلك في براهين اقليدس ان كل شكل
وكل عود من التشكلات لا يعود بعلتها ويبطل
يبطلون دعوى المنجمين في التجربة لكل عود تشكل
من تشكلات الفلك فيجوز ان يتجدد دور مباين
لسابر الادوار يحدث فيها الحيوان غريبة التشكل
لم ير مثلها قبلها قط واذا التقينا حجرة في الماء
تحدث فيها تشكل مستدير يكون استدارة هذا التشكل
مناسبا لعمقها وكلما ازداد عمقا زادت تلك
الدائرة واذا التقينا حجرا آخر قبل تمام هذه الدائرة
لم يلزم ان يكون حركة الماء في النوبة الثانية حركة
في النوبة الاولى لان الماء في الاولى ساكن و
في الاخرى متحرك فان تشكل الحجر المتحرك خلاف تشكله
الساكن فمختلف الاشكال مع تساوي الاسباب
لا مترجح الا السابق باللاحق وهب ان تشكلا
للمتحرك وافق تشكلا آخر فكيف يكون مقدمات النوابت
والاوجات وسايرا لجوزهرات على مثل ما كان

عليه في التشكل الاول فلا يستحيل ان يكون في
التقدير الازلي الادوار يخالف هذه الادوار
تقتضي نمطا من الوجود مستمرا في جنسه فيكون معاد
القيامة الكبرى حصول ذلك التشكل الغريب من
الاسباب العالية فيكون ذلك سببا كليا جامعا
لجميع الارواح فيعم حكمها كافة الارواح فيكون قيامة
عامة مخصوصة بوقت لا يتسع القوة البشرية
لمعرفتها اعني لمعرفة وقتها ولا الانبياء المرسلون
عليهم السلام فان الانبياء ايضا يكشف لهم بقدر
احتمالهم وقبولهم فاذا لم يقم برهان كلامي لا
حقيقي على استحالة وجب التصديق به اذا ورد
الشرع به تصريحا لا يتطرق اليه الاحتمال والتاويل
وقد صرح الشرع به تصريحا ظهر به وجب الايمان
به ولا يمكن تاويله وكما جاز دور تشكل يحدث
بسببه انواع من الحيوانات التي لم يعهد مثلها
فكذلك يجب ان يحدث زمان تحشر فيه الموتى
ويجمع اجزاؤهم ويعود الى اشباحهم ارواحهم وكما

دور

ان يحدث

ان الجاهل يتأمل في فصل الشتاء وتتعجب ان
يحصل فيه نبات وثمار واوراد وفصل الربيع
عاين ذلك وبين زماني الفصلين بعد في هذه
الدار فكذلك من زمان النشاءة الاولى يحصل الانسان فيها بالتناسل وزمان النشاءة الاخرى التي يحصل الانسان فيها بالاحياء والاعادة بون بعيد لا يقاس
احدهما على الثاني فصل عود النفس الى البدن
بعد مفارقتها عنه في القيامة اوممكن غير مستحيل فلا
ينبغي ان يتعجب منه بل التعجب من تعلق النفس البدن
في اول الامر اظهر من تعجب عوده اليه بعد المفارقة
وتاثير النفس في البدن تاثير فعل وتسخير
ولا برهان في استحالة عود هذا وصيرورة هذا البدن
مستعدا مرة اخرى لقبول تاثيره وتسخيره بقي ههنا
تعجب من ضعف العقول وهي ان ذلك الاستعداد
الانساني يحصل قليلا قليلا بالتدريج من نطفة
في قرار مكين ثم من علقة الى تمام الخلقة واذا لم يكن
كذلك لا تقبل استعداد قبول التسخير ووقع هذا
التعجب انا قد بينا ان ما هو ممكن بالتدريج حدوثه
ممكن دفعة وبالتوالد انما يكون بالتدريج واما بالتوالد
لا يكون بالتدريج المحسوس الا ترى ان الفار الذي
يتوالد يكون بالتدريج وباجتماع الذكر والانثى
وبعد حمل وفصال وان المتولد منه يكون دفعة فانه
لم يوجد قط مدر ولا تراب بعضه فار وبعضه بالقوة
قريب الى جرم الفار وكذا الذباب الذي يتولد
في الصيف من العفونات يكون دفعة ولم يوجد
عفونة تغيرت عن حالها او صارت بالقوة قريبة
الى كونها ذبابا بل يستحيل ذبابا من غير مهلة وقد
وتدريج النشاءة الثانية تولد به من تلك الاجزاء
التي كانت في الاصل وان تفرقت وانحلت
صورتا فيرد الله تعالى بواسطة واهب الصور تلك
الى مواداتها ويحصل المزاج الخاص مرة اخرى ولها
نفس حاوت عند حدوث ذلك المزاج ابتداء
فيعود بالتسخير والتصرف اليها مع العلاقة التي بينهما
مثال ذلك راكب السفينة غرقت السفينة
وتفرقت اجزاؤها وانتقل الراكب بالسباحة الى

الى جزيرة ثم ترد تلك الاجزاء بعينها الى الهيئة
الاولى ويوطر ويوكد عاد اليها راكب السفينة
واجزاؤها وتصرف فيها كما شاء ولا يجب ان
يستحق هذا الحشر جميع الاجزاء والمزاج المتجدد
نفسا اخرى فان حدوث المزاج يستحق حدوث
النفس لم اما عود النفس الى حالة الاولى لا يستحق
الى عود النفس الى الحالة الاولى واما ظن من
ظن ان الاجزاء الارضية لا تبقى بذلك فظن ووهم
لا اعتبار بهما كمن قاس الانسان والاجزاء الارضية
التى فيه باجزاء الارض والى مهندس استخرج ما
بالمساحة ذلك الحد واما الاختلاف الراجع
الى ذلك فى الكتب الالهية والتورية ان
اهل الجنة يمكثون فى النعيم خمسة عشر الف سنة
ثم يصيرون ملائكة وان اهل النار كذا او ازيد
ثم يصيرون شياطين وفى الانجيل ان الناس
يحشرون مليكة لا يطعمون ولا يشربون ولا
ينامون ولا يتوالدون وفى القرآن ان الناس

يحشرون كما خلقهم الله تعالى اول مرة كما قال عز من
قائل فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة
وسؤال ابرهيم عليه السلام رب ارنى كيف تحيى الموتى
وقول عزير عليه السلام حكاية منه انه يحيى هذه الله
بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه ومكث اصحاب
الكهف وهو قول الله تعالى وكذلك بعثناهم ليعلموا
ان وعد الله حق دليل على ان هذه النشاة كائنة
ممكنة يجب الايمان بها وكان فى قديم الدهر فيها
اختلاف الناس والانبياء عليهم السلام يثبتون
بتلك البراهين والامثلة المحسوسة والتعجب من
النشاة الاولى اكثر من النشاة الاخرى اذ النشاة
الاولى محسوسة مشاهدة معتادة فسقط التعجب فانا
لو سمعنا ان انسانا حرك نفسه فوق اجزاء مرارا
كما يحرك المختص خرج من بعض اجزائه مثل زبد سيال
فيخفى ذلك الشئ فى بعض اعضاء المرأة ويبقى مدة
على هذه الحالة ثم يصير علقة ثم العلقة يصير مضغة
ثم المضغة يصير عظاما ثم يكسو العظام لحما ثم يحصل

فيه الحركة ثم يخرج من موضع لم يعهد خروج شئ منه
على حاله لا يهلك امه ولا يشق عليها ولادته ثم
يفتح عينيه ويحصل في ثدي الام شراب نافع شئ
لم يكن فيها قبل ذلك ويقتدي به الطفل الى ان
يصير بالتدريج صاحب صناعات واستنباطات
بل ربما يكون هذا الذي اصله نطفة وهو عند الولادة
اضعف خلق الله عن قريب ملكا جبارا يملك
اكثر العالم ويتصرف فيها فان التعجب من ذلك اكثر
واوفى من التعجب من النشاة الاخرى والاصل
ان كل شئ لم يشاهده الانسان ولم يعرف سببه
يحصل له منه التعجب والتعجب قد يحصل للانسان عند
مشاهدة شئ لم يشاهده قبل او سماع شئ لم يعرف
سببه ولم يسمعه قبل **فصل** تعلق النفس بالجسد
كالحجاب لها عن حقايق الامور وبالموت ينكشف
الغطاء كما قال الله تع فكشفنا عنك غطاءك
ومما ينكشف له باثر اعماله مما يقربه الى الله تع
او يبعده ومقادير تلك الاثار وان بعضها اشد

تاثيرا من البعض وفي قدرة الله تع ان يجري سببا
يعرف الخلق في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة
الى تاثيرها بالتقريب والابعاد فحد الميزان ما يتميز
به الزيادة من النقصان مثاله في العالم المحسوس
مختلف فنه منه الميزان المعروف بالقبان الاثقال
والاسطرلاب لحركات الافلاك والاوقات و
المسطرة للمقادير والخطوط والعروض للمقادير
حركات الاصوات والميزان الحقيقي اذا مثله الله تع
للحواس مثله بما شاء من هذه الامثلة او غيرها فحقيقة
الميزان وحده موجود في جميع ذلك وهو ما يعرف
الزيادة من النقصان وصورته يكون موفورة للحس
عند التشكل وللخيال عند التمثيل والله اعلم بما يعتد
من صنوف التشكيلات والتصديق واجب **فصل**
والحساب جمع متفرقات المقادير وتعريف مبلغها
وما من انسان الا وله اعمال متفرقة نافعة وضارة
ومقربة ومبعدة لا يعرف قدرها وقد لا يحصد احاد
متفرقاتها فاذا احصرت المتفرقات وجمع مبلغها كان

حسابا فان كان فى قدرة الله تعالى ان يكشف فى
لحظة واحدة للعالمين مسرقات اعمالهم ومبلغ انارها
فهو اسرع الحاسبين ومعلوم ان فى قدرة الله تعالى
ذلك قادر هو اسرع الحاسبين قطعا وسئل امير المؤمنين
على رضى الله عنه كيف يحاسب الله الخلق فى لحظة من
غير تشويش وغلط فقال رضى الله عنه كما يرزقهم
مع سايرالحيوانات بلا تشويش **فصل** الصراط
عبارة عما لا مناسبة بين دقته ودقة الشعر وحدة
وحدة السيف وهو فى الدور مثل الخط الهندسى
والصراط المستقيم عبارة عن الوسط الحقيقى بين الطرفين
المتضادة كذلك بيننا الله به بهذا الدعاء فى سورة
الفاتحة حيث قال اهدنا الصراط المستقيم وقال فى
حق المصطفى عليه السلام وانك لتهدى الى صراط مستقيم
وقال الله به فى ثنائه وانك لعلى خلق عظيم مثال السخاوة
بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن
والتواضع بين التكبر والذناءة والمضعة بين الشهوة
والجمود فهذه الاخلاق لها طرفا افراط وتفريط

وبما مذمومان والوسط ليس من الافراط والتقصير
فهى على السنة من كل طرف ولذا قال عليه السلام خير
الامور اوسطها ومثال ذلك الوسط الخط الهندسى
الفاصل بين الظل والشمس لا من الظل ولا من الشمس
والتحقيق فى ذلك ان كمال الادمى فى المباينة
بالملائكة وهم منفكون عن هذه الاوصاف المتضادة
وليس فى امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية
فكلفه الله تعالى بما يشبه الانفكاك وان لم يكن حقيقة
الانفكاك وهو الوسط فان الفاتر لا بارد ولا حار
والعودى لا ابيض ولا اسود فالبخل والتبذير من
صفات الانسان والمقتصد السخى كانه لا بخيل
ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الوسط الحق بين الطرفين
الذى لا ميل له الى الجانبين وهو ادق من الشعر فالذى
يطلب غاية البعد من الطرفين يكون على الوسط
ولو فرضنا خلقة جديدة تحماة على النار وقعت
نحلة فيها وهو يحرب بطبعها من الحراج فلا يموت
الا على المركز لانه الوسط الذى هو غاية البعد من المحيط

المحرف وتلك النقطة لا عرض لها فاذن الصراط المستقيم
هو الوسط بين الطرفين ولا عرض له فهو ادق من الشعر
ولذلك خرج من العدة البشرية الوقوف عليه
فلا جرم لا يرد منا نبا الا النادر بقدر ميله عنه كما قال
الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
وقال ولا تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل
الميل فان العدل بين المرأتين في المحبة والوقوف على
درجة متوسطة لا ميل فيه الى احد ما كيف يتطرق تحت
الامكان فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم
الذي هو الله تعالى حقيقة على النبي عليه السلام وان
هذا صراطي مستقيما فاتبعوه امر على صراط الاخرة مستويا
من غير مثل وجاء في الحديث يمر به المؤمن اي عن
الصراط كالبرق الخاطف **فصل** اللذات المحسوسة
الموجودة في الجنان من اكل وشرب ونكاح تجب
التصديق بها لامكانها وهي كما تقدم حسي وخيالي
وعقلي اما الحسي فيعود الروح الى البدن كما ذكرنا
واما الكلام ان بعض هذه اللذات مما لا يرغب فيها
مثل اللبن والاستبرق والطلح المنضود والنسدس
المخضود فهذا مما خوطب به جماعة يعظم ذلك في
اعينهم ويشتهون غاية الاشتهاء وفي كل صنف وفي
كل اقليم مطاعم ومشارب وملابس مختص بقوم دون
قوم ولكل واحد في الجنة ما يشتهيه كما قال تعالى وفيها
ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقال ايضا ولكم فيها
ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون وربما يعظم
الله تعالى في الاخرة شهوة فلا يكون ملك الشهوة يعظمه
في دار الدنيا كالنظر الى الله تعالى وتقدس فان
الشهوة والرغبة الصادقة منها في الاخرة دون الدنيا
واما الخيالي واللذة كما في النوم الا انه مستحق الانقطاع
عن قريب فلو كانت دائمة لم يدرك فرق بين الخيالي
والحسي لان التذاذ الانسان بالصور من حيث انطباعها
في الخيال والحس لا من حيث وجودها عن خارج فلو
وجد من خارج ولم يوجد في حسه الانطباع فلا لذة
ولو بقي المنطبع في الحس وعدم في الخارج لدامت اللذة
وللقوة المتخيلة قدح على اختراع الصور في هذا

العالم الا ان صورها المخترعة متخيلة وليست بمحسوسة ولا
منطبعة في القوة الباصرة فلذلك لو اخترع صورة
جميلة في غاية الجمال وتوهمت حضورها ومشاهدتها
لم يعظم لذة لانه ليس يصير مبصرا كما في النوم ولو كانت
له قوة على تصويرها في القوة الباصرة كما له قوة على
تصويرها في القوة المتخيلة لعظمت لذته ونزلت
منزلة الصور الموجودة من خارج ولا يفارق الحالة
الدنيا في هذا المعنى الا من حيث كمال القدرة على تصور
الصور في القوة الباصرة وكل ما يشتهيه فيحضر عنده
في الحال فتكون شهوته بسبب تخيله وتخيله سبب لابصاره
اي بسبب انطباعه في القوة الباصرة ولا يخطر بباله شيء
يميل اليه الا ويوجد في الحال اي حوله بحيث يراه واليه
الاشارة بقوله عليه السلام ان في الجنة سوقا يباع
فيه الصور والسوق عبارة عن اللفظ الالهي الذي هو
منبع القدرة على اختراع الصور بحسب المشية وانطباع القوة
الباصرة انطباعا ثابتا الى دوام المشية الى انطباعا
مويعرض الزوال من غير اختيار كما في النوم في هذا العالم

وبهذه القدرة اوسع واكمل من القدرة على الاجاد
خارج الحس للان الوجود من خارج الحس لا يوجد
في مكانين واذا صار مشغولا به محجوبا عن غيره
واما هذا فيتسع اتساعا لا ضيق ولا منع حتى اذا
اشتهى مشاهدة الشيء مثلا الف شخص في الف
مكان في حالة واحدة لشاهدوه كما خطر ببالهم
في اماكنهم المختلفة والى الابصار الحاصل عن شخص
الشيء الموجود من خارج الحس لا يكون الا في مكان
واحد وحمل الاخرة على ما هو اوسع واتم للشهوة
وموافق بها اولى ولا يقص عمى وسها في الوجود
واما الوجود الثالث فهو الوجود العقلي ان يكون
هذه المحسوسات امثلة للذات العقلية التي ليست
بمحسوسة لكل العقليات ينقسم الى اقسام كثيرة مختلفة
الذات كالحسيات فيكون الحسيات امثلة
لها وكل واحد يكون مثالا للذة اخرى مما رتبته
في العقليات يوازي رتبة المثال في الحسيات
فانه يوازي في المنام الماء الجاري والوجه الحسن

والانهار المطردة باللبن والعسل والخمر والاشجار
المزينة بالجواهر واليواقيت واللآلي والقصور
المبنية من الذهب والفضة والسرر المرصعة لكان
المعبر لا يجمله على نوع واحد بل يجمل كل واحد على نوع
آخر من السرور وقرة العين فيرجع بعضه الى سرور
العلم وكشف المعلومات وبعضه الى سرور الملكة
ونفاذ الامر وبعضه الى قهر الاعداء وبعضه الى مشاهدة
الاصدقاء ان شمل الجميع اسم اللذة والسرور فهي مختلفة
المراتب مختلفة الذوق لكل واحد منها يفارق
الآخر فكذلك اللذات العقلية ينبغي ان يفهم كذلك
وان كانت مما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر فجميع هذه الاقسام ممكنة فيجوز
ان يجمع بين الكل ويجوز ان يكون نصيب كل واحد
بقدر استعداده والمشغوف بالتقليد والجمود
على الصور الذي لم ينفتح له طرف الحقايق يمثل له
هذه الصور والعارفون المستغرقون بعالم الصور
واللذات يلبونهم ويسمى شرههم وشهوتهم اذ حد

الجنة ان فيها لكل امرء ما يشتهيه واذا اختلف
الشهوات لم يبعد ان يختلف المعقولات واللذات
والقدح واسعة والقوة البشرية عن الاحاطة
بعجايب القدرة قاصرة والرحمة الالهية التفت
بواسطة النبوة الى كافة الخلق الذي احتملته انهاتهم
صحة التصديق بما نهوه والاقرار بما وراء منتهى
افهامهم من امور يليق بالكرم الالهي ولا يدرك بالفهم
البشري وانما يدرك في مقعد صدق عند مليك
مقتدر فصل اما التقرب بمشاهدة الانبياء
والايمة عليهم السلام فان المقصود من الزيارة والاستمداد
من سؤال المغفرة وقضاء الحوايج من ارواح الانبياء
والايمة عليهم السلام وعبارة عن هذه الامداد
الشفاعة وهذا حصل من جهتين الاستمداد من هذا
الجانب والامداد من الجانب الاخر ولزيارة المشاهد
اثر عظيم في هذين الركنين اما الاستمداد فهو بان صورة
صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمرور على
الخاطر حتى يصير كالبة تهمة مستغرقة في ذلك ويتعلل كلية

على ذكره وخطوره ببال وهذه الحالة سبب منبه لروح
ذلك الشفيع او المزور حتى يمده بملك الروح الطيبة
بما يستمد منها ومن اقبل في الدنيا بهمته وكليته على انسان
في دار الدنيا فان ذلك الانسان يحس باقبال ذلك
المقبل عليه ويحسه بذلك فمن لم يكن في هذا العالم فهو
اولى بالتنبه وهو منبها لذلك التنبه فان الاطلاع من هو
خارج عن احوال العالم الى بعض احوال العالم ممكن كما
يطلع في المنام على احوال من هو في الاخرة اهو مثاب
ام معاقب فان النوم صنف الموت واخو فنبيب
النوم حرنا مستعدين لمعرفة احوال لم نكن مستعدين لها
في حال اليقظة فكذلك من وصل الى الدار الاخرة وبانت
موتا حقيقيا كان بالاطلاع على هذا العالم اولى واحرى
فاما كلية احوال هذا العالم في جميع الاوقات لم يكن
مندرجة في سلك معرفتهم كما لم يكن احوال الماضين حاضرة
في معرفتنا في منامنا عند الرؤيا بالاحاد المعارف مغيبات
ومخصصات منها حاضر الحاجة وهو استيلاء ذكر
صاحب تلك الروح العزيزة على صاحب الحاجة وكما

يؤثر مشاهدة صورة الجنة في حضور ذكره وخطوره
نفسه بالبال وكذلك يؤثر مشاهدة قالب الميت
وترتبه التي هي حجاب قالبه فان اثر ذكر الميت في
اليقين عند غيبة قالبه ومشهده ليس كاثر في حال
حضوره ومشاهدة قالبه ومشهده ومن ظن انه قادر
على ان يحضر في النفس ذلك الميت عند غيبة مشهده
كما يحضر عند مشاهدة مشهده فذلك ظن خطاء فان للميت جهة
اثر ابينا ليس للغيبة مثله ومن استعان في الغيبة بذلك
الميت لم يكن هذه الاستعانة ايضا خرافا ولا يخلو
من الرجاء، قال عليه السلام من صلى علي مرة صليت
عليه عشر مرات ومن اجاب المؤذن حلت له شفاعتي
ومن زار قبري حلت له شفاعتي فالتقرب بتعالية الذي
مواخص الخواص به وسيلة تامة معاصه للشفاعة والتقرب
بولده الذي هو بضعة منه ولو بعد توالد وتناسل و
التقرب بمشهده ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه
ونعله وعضارته والتقرب بعادته وسيرته والتقرب
بكل ما له مناسبة اليه تقرب موجب للتقرب اليه ومقتض

لشفاعته فانه لا فرق عنده الا نبيآء فی کونهم فی دار
الدنیا و فی کونهم فی دار الآخرة الا فی طریق المعرفة فان
آلة المعرفة فی الدنیا الحواس الظاهرة و للعقبی آلة یعرف
بها الغیب اما فی کسوة مثال و اما علی سبیل التصریح و اما
الاحوال فی التقرب و القرب فی الشفاعة فلا یتغیر
و الرکن الاعظم فی هذا الباب الامداد و الاستمام
من جهة المدد و ان لم یشعر صاحب الوسیلة بذلک
المدد فانه لو وضع مع رسول الله صلی الله علیه وسلم
عضادته او وسطه علی عاص او مذنب نجا ذلک المذنب
ببرکة تلک الذخیرة من العذاب و ان کان فی دار انسان
او بلدة لا یصیب و اهلها و تلک البلدة ببرکاتها
بلاء و ان لم یشعر به صاحب الدار و ساکن البلدة
فان اتمام البنی عم علم و هو فی التعقبی مصروف الی ما
هو به منوب و دفع مکاره الامراض و العقوبات
مفوضة من جهة الله الی الملایکة و کل ملک حریص علی
اسعاف حوائج البنی عم بحمته الیه عن غیره کما کان فی
حال حیوته فان تقرب الملایکة بروحه بعد موته ازید

من تقربهم به فی حال حیوته و قد حکی ابا الطاهر الهروی
القرمطی رفع انسانا علی عنقه حتی خرب میزاب
الکعبة فمات ذلک الانسان علی عاتقه و ان جماعة
من المصریین تتبعوا فی جوار روضة النبی علیه السلام
و قصدوا اخراج نحصه و نقله الی مصر کان ذلک فی نصف
اللیل فسمع اهل المدینة صوتا من الهواء احفظوا نبیکم
فاوقدوا السراج و راوا ذلک النعش و حوله جماعة من
المصریین موتی و نقل انه علیه السلام عرس غضا رطبا
فی قبر انسان و قال رفع الله عن صاحبه العذاب ما دام
هذا الغض رطبا و ذلک من برکات ید به صلی الله علیه
وسلم و کل من اطاع سلطانا و عظمه فاذا دخل بلدته
و رای فیها سهما من جعبة ذلک السلطان او سوطا له
فانه یعظم فی تلک البلدة فالملائکة یعظمون البنی عم
فاذا رواذ خایر فی دار او بلدة او قبر عظموا صاحبه
و خففوا علیه العذاب و لذلک ینفع الموتی ان یوضع
علی قبورهم المصاحف و یکتب القران علی رؤس قبورهم
قراطیس و یدفن الی لدی الموتی و یتلی القران علی رؤس قبورهم

و یوضع القراطیس

فهذه انواع المناسبات على حسب ما يريد ان يسوى
كل مسموع مشروع على قصة معقولة والاصل في ذلك
ان ما فوق ما تصوّره العقلاء امور اورد الشرع
بها ولا يعلم حقايقها الا الله تعالى والانبياء الذين
هم وسايط بين الله وبين عباده وان اجتمع الحذاق
وتفكروا في سلك الموضوع وعلى مناسبة الاعداد
لسهولة الولادة حالة النطق ما عرفوا ملك المناسبة
والخاصية وكيف يطمع انسان ان يعرف حقايق
ما ورد به الشرع من الاوامر والنواهي في الاخبار
والوعد والوعيد وغير ذلك والعقل ضعيف
وتصرفه منحصر بالاضافة الى ملك العجايب والخواص

خاتمة ووصية وقد قدرت يا اخي طيب الله
عيشك بعض ما يمكن التلويح اليه على وفق ما انتهى
فطانتي واوصيك ومن يملك بالايمان بهذه الاشياء
التي ورد الشرع بتصحيحها دون التوقف فيها ونعوذ
بالله من التوقف وشاهدي اليك من بعدان وفقني
الله تعالى على مضمنة آخر اسم المضنون به على غيره

اهله احق واولى من هذا المصنف فان في هذا
مسايل ما قررتها في عدة مواضع ومسايل لم اقررها
الا في هذا المصنف اما المضنون الموجود فغريمي
على تقرير اشياء فيه لم اقررها في كتبي اللهم الا في
احياء العلوم فان فيه تلويحات واشارات
الى رموز لا يعرفها الا اهلها والله تعالى المغني
والهادي وهو حسبي واليه المصير ونعم الوكيل والنصير

كتاب المضنون به عن غير أهله مسئلة سئل

عن قول الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا

له ساجدين ما التسوية فقال ان التسوية فعل في المحل القابل

للروح وسواه الطين في حق آدم والنطفة في حق اولاده

بالتصفية وتعديل المزاج فانه كما لا يقبل يابس محض كالتراب

والحجر ولا رطب محض كالماء بل تتعلق النار بمركب ولا كل

مركب فان الطين مركب ولا تشتعل فيه النار بل لابد من

تركيب خاص وذلك بان يتردد الطين الكثيف في اطوار

الخليقة حتى تصير نباتا لطيفا فتشبث به النار وتشتعل فيه كذلك

الطين بعد ان نشأه الله خلقا بعد خلق في اطوار متعاقبة يصير

نباتا فيأكله الادمي فيصير دما فتنزع القوة المميزة المركبة

في كل حيوان من الدم صفوة الذي هو اقرب الى الاعتدال

فتصير نطفة فيقبلها الرحم ويمزج به منى المرأة فيزداد به اعتدالا

ثم يضجه الرحم بحرارته فيزداد تناسبا حتى ينتهي في الصفاء و

استواء نسبة الاجزاء الى الغاية فيستعد لقبول الروح

واسماكها كالنقيلة التي تستعد عند شرب الدهن لقبول

النار واسماكها فالنطفة عند تمام الاستواء والصفاء تستحق

باستعداد ما روحا قدسيا وتتصرف فيها فيفيض اليها

الروح من جود الجواد الحق الواهب لكل مستحق ما يستحقه

ولكل مستعد ما يقبله على قدر قبوله واحتماله من غير منع ولا

بخل فالتسوية عبارة عن هذه الافعال المرددة لاصل النطفة

فی الاطوار التی کلفه بها الی صفة ایستوآء والاعتدال
وسئل ما النفخ فقال النفخ عبارة عما اشتعل نور الروح
فی فتیلة النطفة وللنفخ صورة ونتیجة اما صورته فاخراج
الهوی من جوف النافخ فی جوف المنفوخ فیه حتی تشتعل
الحطب القابل للنار فالنفخ سبب للاشتعال من صورة
النفخ الذی هو سبب فی حق الله تعالی محال والمسبب غیر محال
وقد یکنی بالسبب عن الفعل الذی یحصل السبب علی سبیل المجاز
وان لم یکن الفعل المستعار منه کقوله سبحانه وتعالی غضب الله
علیهم وکقوله تعالی فانتقمنا منهم والغضب عن نوع تغیر فی
الغضبان تیاذی به ونتیجته ایلاک المغضوب علیه او ایلامه فعبر
عن نتیجة الغضب بالغضب وعن نتیجة الانتقام بالانتقام و

عبر عما نتیج نتیجة النفخ بالنفخ وان لم یکن علی صورة النفخ فقیل
فالسبب الذی به اشتعل نور الروح فی فتیلة النطفة
فقال هو صفة من الفاعل وصفة من القابل اما صفة الفاعل
فالجود الالهی الذی هو ینبوع الوجود وهو فیاض بذاته
علی کل موجود حقیقة وجوده ویعبر عن تلک الصفة بالعدل
ومثال ذلک فیضان نور الشمس علی کل قابل للاستنارة عند
ارتفاع الحجاب منها والقابل للاستنارة هی المتلونات دون
الهوی الذی لا لون له واما الصفة القابل فالاستواء و
الاعتدال الحاصل بالتسویة قال الله تعالی فاذا سویته
ومثال صفة القابل صقالة الحدید فان المرآة التی تتراءی
وجهها لا تقبل الصورة وان کانت الصورة محاذیة له

فلو حاذته الصورة فاشتمل الصاقل بصقله فلما حصلت الصقالة
لم حدثت فيه الصورة من ذى الصورة المحاذية فكذلك اذا
حصل الاستواء فى النطفة حدث فيها الروح من خالق الروح
من غير تغير فى الخالق بل انما حدث الروح الآن لا قبله كما
ان الصورة فاضت من ذى الصورة على المرآة فى حكم الوهم
من تغير حدث فى الصورة ولكن كان لا يحصل من قبل لان
الصورة ليست مهيأة لان تنطبع فى المرآة لكن لان المرآة
لم تكن قابلة صقيلة فقيل له فما الفيض فقال لا يعنى ان بينهم
من الفيض ههنا ما يفهم من فيض الماء من الاناء على اليد فان
ذلك عبارة عن انفصال جزء ما فى الاناء واتصاله باليد
بل افهم ما تفهمه من فيض نور الشمس على الحائط ولقد غلط قوم فى

غير ه

نور الشمس ايضا فظنوا انه ينفصل شعاع عن جرم الشمس و
يتصل بالحائط وينبسط عليه وهو خطاء بل نور الشمس سبب
لحدوث شئ يناسبه فى النورية وان كان اضعف منه
فى الحائط المكون كفيضان الصورة على المرآة من ذى الصورة
لا بمعنى انفصال جزء من صورة الانسان واتصاله بالمرآة
بل على معنى ان الصورة مثلا سبب لحدوث صورة تماثلها
فى المقابلة لمحاذاة الصورة وليس فيه انفصال واتصال
الا السببية المجردة فكذلك الجواد الالهى سبب لحدوث
انوار الوجود فى كل ما يتهيأ قابلا للوجود فيعبر عنه بالفيض

مسئلة فقيل له فقد ذكرت التسوية والنفخ فما الروح
وما حقيقته وهو حال فى البدن حلول الماء فى الاناء او حلول

العرض في الجوهر ام هو جوهر قايم بنفسه فان كان جوهرا
فمتحيز ام غير متحيز فان كان متحيزا فما مكانه القلب او الدماغ
او موضع اخر وان لم يكن متحيزا فكيف يكون جوهرا غير متحيز
فقال هذا سوال عن سر الروح الذي لم يؤذن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في كشفه لمن ليس له اهلا فان كنت من
اهله فاسمع واعلم ان الروح ليس بجسم تحل البدن حلول
الماء في الاناء ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول
السواد في الاسود والعلم في العالم بل هو جوهر وليس بعرض لانه
نفسه وخالقه ويدرك المعقولات والعرض لا يتصف بهذه
الصفات ولا هو جسم لان الجسم قابل للقسمة والروح لا ينقسم
لانه لو انقسم لجاز ان يقوم بجزء منه علم بالشيء وبجزء اخر جهل

بذلك الشيء الواحد بعينه فيكون في حالة واحدة عالما
بالشيء جاهلا به ولا يتناقض العقلان الا في محل واحد فالسواد
والبياض في جزء من العين غير متناقض والعلم والجهل
بشيء واحد في شخصين غير محال فدل انه واحد لا ينقسم وهو
بانتفاء العقلاء جزء لا يتجزى اي شيء لا ينقسم اذ لفظ الجزء
غير لايق به لان الجزء اضافة الى كل ولا كل هنا ولا جزء
الا ان يراد به ما يريد القايل بقوله الواحد جزء من
العشرة فاذا اخذت جميع الموجودات او جميع ما به قوام
الانسان في كونه انسانا كان الروح واحدا من جملتها
فاذا ثبت انه شيء لا ينقسم فلا يخلو اما ان يكون متحيزا او
غير متحيز فباطل ان يكون متحيزا اذ كل متحيز منقسم والجزء الذي

لا يتجزي باطل بالبداهة هذه قضية عقلية واقعية بها انه لو فرض
جوهر بين جوهرين لكان كل واحد من الطرفين يلقى من الوسط
غير ما يلقى الآخر فيجوز ان يقوم بالوجه الذي يلقاه هذا الطرف
علم وبالوجه الآخر جهل فيكون جاهلا عالما في حالة واحدة
وكذلك لو فرض بسيط مسطح من آخر لا يتجزى لكان الوجه
الذي يحاذينا وتراه غير الوجه الآخر الذي لا نراه فان
الواحد لا يكون مرئيا وغير مرئي في حالة واحدة ولكانت
الشمس اذا حاذت احد وجهيه استنار بها ذلك الوجه دون
الوجه الآخر فاذا ثبت انه لا ينقسم وانه لا يتحيز ثبت انه قايم
بنفسه وغير متحيز اصلا مسئلة قيل له فما حقيقة هذه الحقيقة
وما صفة هذا الجوهر وما وجه تعلقه بالبدن اهو داخل فيه او هو

خارج عنه وبل هو متصل به او منفصل عنه فقال لا هو داخل فيه
ولا هو خارج عنه ولا هو متصل به ولا هو منفصل عنه لان
مصحح الاتصاف بالاتصال والانفصال الجسمية والتحيز
قد انتفى ذلك عنه فانفك عن الضدين كان ايجاد لا هو
عالم ولا هو جاهل لان مصحح العلم والجهل الحياة فاذا انتفت
انتفى الضدان فقيل له بل هو في جهة فقال انه منزه
عن الحلول في المحال والاتصال بالاجسام والاختصاص
بالجهات فان ذلك كله من صفات الاجسام واعراضها وهو
ليس بجسم ولا عرض في جسم بل هو مقدس عن هذه العوارض
فقيل له اذا منع الرسول صلى الله عليه من افشاء
هذا السر وكشف حقيقة الروح فقال لان الافهام لا تحتمله

لان الناس فتمان عوام وخواص اما من غلب على طبعه
العامية فهو لا يقبله ولا يصدق في صفة الله تعالى فكيف
يصدق في صفة الروح الانساني ولهذا انكرت الكرامية والحنابلة
ومن كانت العامية اغلب عليه ذلك وجعل الاله سبحانه
جسما اذ لم يعقل موجودا الا متجسما مشارا اليه ومن ترقى
عن العامية قليلا نفى الجسمية وما اطاق ان ينفي عوارض
الجسمية فاثبت الجهة وترقى عن هذه العامية الاشعرية
والمعتزلة فاثبتوا موجودا لا في جهة فقل له فلم لا
يجوز كشف هذا السر مع سولا، فقال لانهم احالوا ان
تكون هذه لغير الله فاذا ذكرت معهم كفرك فقالوا له
انك تصف نفسك بما وصف الاله سبحانه وتعالى عما يقول

الظالمون علوا كبيرا على الخصوص فكانك تدعي الالهية
لنفسك فقل لم احالوا ان تكون من الصفة
تعالى ولغيره فقال لانهم قالوا كما يستحيل في ذوات
المكان ان تجتمع اثنان في مكان واحد لانه لو اجتمعا
لم تتميز احدهما عن الآخر وكذلك لو وجد اثنان كل
واحد منهما ليس في مكان بنم يحصل التميز والفرقان و
لهذا ايضا قالوا لا يجتمع سوادان في محل واحد حتى قيل
المثلان يتضادان وان قيل له فهذا اشكال قوي فما جوابه
انهم اخطأوا حين ظنوا ان التميز لا يحصل الا بالمكان بل
يحصل التميز بثلثة امور احدها المكان كجسمين في مكانين
والثاني كسوادين في جوهر واحد في زمانين والثالث

يستحيل ان يجتمع اثنان في لا مكان لانه
انما استحال جمع جسمين في مكان واحد

فقال جوابه

بالحد والحقيقة كالاعراض المختلفة في محل واحد مثل الطعم واللون
والبرودة في جسم واحد فان المحل واحد والزمان واحد
ولكن بينهم معاني مختلفة الذات نحدودها وحقايقها فيتميز
اللون عن الطعم بذاته لا بمكان وزمان ويتميز العلم والقدرة
بذاته وان كان الجمع ليس بواحد فاذا كما تصور اعراضا
مختلفة الحقايق بذاتها في محل احد فبان يتصور اشياء مختلفة
الحقايق بذاتها في غير اولا فقل لي فيهما دليل آخر على ما
احلته ما ذكرته وهو اظهر من التفرقة وهو ان هذا تشبيه واثبات
لاخص وصف الله تعالى في حق الروح فقال ميهات فان
قولنا عالم قادر سميع بصير متكلم والله تعالى كذلك ليس فيه
تشبيه لانه ليس بذلك الوصف آلهنا فكذلك البراءة عن المكان

والجهة ليس اخص وصف الا آله بل اخص وصفه انه قيوم اي
قايم بذاته وكل ما سواه قايم به وانه موجود لذاته لا بغيره و
كل ما سواه موجود بذاته بل ليس الا شيآء من ذاتها العدم
وانما لها الوجود من غيرها على سبيل العارية والوجود لله
تعالى ذاتي ليس بمستعار وهو الحقيقة اعني القيومية ليست الا
لله تعالى مسئلة قيل له ذكرت معنى التسوية والنفخ و
الروح ولم تذكر معنى النسبة في الروح وانه لم قال فيه من
روحي فلم نسبه الى نفسه فان كان ذلك لان وجوده
منه فجميع الاشيآء ايضا منه وقد نسب البشر الى الطين
فقال تعالى اني خالق بشرا من طين ثم قال نفخت فيه
من روحي وان كان معناه انه جزء من الله تعالى فاض

على هذا القالب كما يفيض المال على السائل من المعطي فمعقول
افضت عليه من مالي فهذه تجزية لذات الله تعالى وقد ابطلتم
بذا وذكرتم ان الافاضة ليست بمعنى انفصال جزء فقال
هذا كقول الشمس لو نطقت وقالت افضت على الارض من
نوري فيكون صدقا ويكون معنى النسبة ان النور الحاصل
من حبس نور الشمس بوجه من الوجه وان كان في غاية
الضعف بالاضافة وقد علمت ان الروح منزه عن الجهة
والمكان وفي قوته العلم بجميع الاشياء والاطلاع عليها
وبين مضافات ومناسبة فلذلك خصص بالاضافة وبين
المضافات ليست هي للجسمانيات اصلا مسئلة قيل له في
معنى قوله تعالى قل الروح من امر ربي وما معنى عالم الامر

وعالم الخلق فقال كلما وقع عليه مساحة وتقدير وهي الاجسام
وعوارضها يقال له عالم الخلق والخلق ههنا بمعنى التقدير لا
بمعنى الايجاد والاحداث يقال خلق الشيء اذا قدره اي قدر
وما لا كيفية له ولا تقدير يقال انه امر رباني وذلك
للمضافات التي ذكرناها وكل ما هو من هذا الجنس من ارواح البشر
وارواح الملائكة يقال انه من عالم الامر فعالم الامر عبارة
عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان
والتحيز وما لا يدخل تحت المساحة والتقدير لانها لا كيفية
عنه مسئلة فقيل له هذا يوهم ان الروح ليس مخلوقا
فهو قديم فقال قد توهم هذا جماعة وهو جهل بل نقول
الروح غير مخلوق بمعنى انه مقدر بكمية فانه لا ينقسم ولا تحيز

لكنه مخلوق بمعنى محدث وليس بقديم وبرهان حدوثه
طويل ومقدماته كثيرة لكن الارواح البشرية حدثت
عند استعداد النطف للقبول كما حدثت الصورة من
المرآة بحدوث الصقالة وان كان ذو الصورة سابق
الوجود على الصقالة واجاز هذا البرهان ان الارواح
لو كانت موجودة قبل الابدان لكانت اما كثيرة او
واحدة وباطل وحدتها وكثرتها فباطل وجودها وانما استحالت
وحدتها بعد التعلق بالابدان لعلمنا ضرورة بان ما يعلمه
زيد يجوز ان يجهله عمرو ولو كان الجوهر العاقل منها واحدا
لاستحال اجتماع الضدين فيه كما يستحيل في زيد وحده وتعقبه
بانه روح الجوهر العاقل ومحال كثرتها لان الواحد مستحيل ان

يتثنى وان ينقسم اذ لم يكن ذا مقدار كالاجسام والجسم
ينقسم فانه ذو مقدار فله بعض فيتبعض اما كالبعض له
ولا مقدار فكيف ينقسم واما بتقدير كثرتها قبل التعلق
بالبدن فمحال لانها اما ان تكون متماثلة او مختلفة وكل
ذلك محال وانما استحال التماثل لان وجود المثلين
محال في الاصل ولهذا يستحيل وجود سوادين في محل و
جسمين في مكان لان الاثنينية يستدعي مغايرة ولا
مغايرة بين الاثنين وسوادان في مجلس جائز لان
هذا يفارق ذلك في المحل اذا اختص بمحل لا تحقق الآخر
وكذلك يجوز في محل واحد في زمانين اذ لها وصف
ليس للآخر وهو الاقتران بهذا الزمان الخاص فليس في الوجود

مثلان مطلقا بل لاضافة كقولنا زيد وعمرو ومثلان
في الانسانية والجسمية وسواد الخبز وسواد الغراب مثلان
في السوادية ومحال تغاير هما لان التغاير نوعان احدهما
باختلاف النوع الآخر والماهية كتغاير الماء والنار
وتغاير السواد والعلم والثاني بالعوارض آتية لا تدخل
في الماهية كتغاير الماء الحار والماء البارد فان كان
تغاير الارواح البشرية بالنوع فمحال لان الارواح
البشرية متفقة في الحد والحقيقة وهي نوع واحد وان كانت
متغايرة بالعوارض فمحال لان الحقيقة الواحدة انما تتغاير
عوارضها اذا كانت متعلقة بالاجسام منسوبة اليها بنوع ما
اذ الاختلاف في اجزاء الجسم ضرورة ولو في الثوب من

الصورة

الماء والبعد منه مثلا اذا لم يكن كذلك كان الاختلاف
محالا وهذا يحتاج تحقيقه الى مزيد بحث في تقدير ذلك
وهذا التقدير ينبه عليه فيقال كيف يكون حال الارواح
بعد مفارقة الاجساد ولا تعلق لها بالاجسام فكيف
تكثرت وتغايرت فقال لانها اكتسبت بعد التعلق بالابدان
اوصافا مختلفة في العلم والجهل والصفاء والكدر مختلفة في حسن
الاخلاق وقبحها فبقيت متغايرة فعقل كثرتها لاختلافها
قيل خلق الاجساد فانه لا يدرك بتغاير ما مسئلة فقيل له قال
عليه السلام ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن فقال
اسم مشترك قد يطلق على ترتيب الاشكال وموضع بعضها
من بعض واختلاف تركيبها وهي الصورة المحسوسة وقد

تطلق على ترتيب المعانى التى ليست محسوسة وللمعانى
ترتيب ايضا وتركيب وتناسب ويسمى ذلك صورة فيقال
صورة المسئلة كذا وصورة الحادثة وصورة العلوم كذا
والعقلية فالمراد بالتسمية فى هذه الصورة هى الصور المعنوية
والاشارة الى المضاهاة آتية ذكرناها ويرجع ذلك الى
الذات او الصفات والافعال وحقيقة الروح انه قايم بنفسه
وليس بعرض ولا جسم ولا جوهر متحيز ولا يحل المكان وليس
ولا هو متصل بالبدن والعالم ولا منفصل ولا هو داخل فى
اجسام العالم والبدن ولا هو خارج وهذه كلها صفات
ذات الله تعالى واما الصفات فقد خلق حيا عالما قادرا مريدا
سميعا بصيرا متكلما والله تعالى كذلك واما الافعال فهذا

فعل الادمى ارادة يظهر اثره اولا فى القلب ثم يسرى
منه اثرا بواسطة الروح الحيوانى الذى هو بخار لطيف يجرى
تجويف القلب الى الدماغ ومن الاعصاب الى الاوتار
والرباطة المتعلقة بالعضل فتجذب به الاوتار فتتحرك
الاصابع فتتحرك القلم بالاصابع والمداد بالقلم مثلا فتحدث
منه صورة ما يريد كتبه على وجه القرطاس على الوجه
المتصور فى خزانة التخيل فانه ما لم يتصور فى خياله صورة
المكتوب اولا لا يمكن احداثه على البياض ثانيا ومن
استقرى افعال الله سبحانه وكبتته احداثه النبات و
الحيوان على الارض بواسطة تحريك السموات والكواكب
وذلك بطاعة الملايكة له فى تحريك السموات علم ان تصرف

الادمي في عالمه اعني بدنه يشبه تعرف الخالق في
العالم الاكبر وهو مثله وانكشف له ان نسبة القلب الى
تعرفه يشبه العرش ونسبة الدماغ نسبة الكرسي والحواس له
كالملايكة الذين يطيعون طبعا ولا يستطيعون لامره خلافا
والاعضاء والاعصاب كالسموات والقدرة في الاصبع
والمداد كالطبيعة المسخرة المركوزة في الاجسام والقرطاس والقلم
كالعناصر آلتي هي امهات المركبات في فنون الجمع والتركيب
والتفرقة وخزانة التخيل كاللوح المحفوظ فمهما اطلع بالحقيقة على
هذا الموازنة عرف معنى قوله عليه السلام ان الله تعالى خلق
آدم على صورته ومعرفة ترتيب افعال الله تعالى صعبة
غامضة تحتاج فيها الى تحصيل علوم كثيرة وقد ذكرنا اشتياق

الى جملة مسئلة فقيل له فما معنى قوله من عرف نفسه
فقد عرف ربه فقال ان الاشياء تعرف بامثلتها المناسبة
فلولا المضاهات المذكورة لم يقدر الانسان على الترقي
من معرفة نفسه الى معرفة الخالق فلولا ان الله تعالى جمع
في الادمي ما هو مثال جملة العالم حتى كانه نسخة مختصرة و
اثر بوبية والفعل والعلم والقدرة وساير الصفات
الالهية فصارت النفس بضاهاتها وحوازيها مرقاة
الى معرفة خالق النفس وفي استكمال المعرفة بالمسئلة اليه
قبل هذا ما يكشف عن وجه هذه المسئلة مسئلة قيل لم
كانت الارواح حادثة مع الاجساد فما معنى قوله صلى الله
عليه وسلم خلق الله الارواح قبل الاجسام بالفي عام وقوله

انا اول الانبیآء خلقا و آخرهم بعثا و کنت نبیّا و آدم
بین الماء و الطین فقال لیس شیئا من هذا یدل علی
قدم الروح بل یدل علی حدوثه و کونه مخلوقا نعم ربما دل
باظهاره علی تقدم وجوده علی الجسد و امر النطواهر بیّن
فان تاویله ممکن و البرهان القاطع لا یدفع بالظواهر بل
یتسلط علی تاویل النطواهر کما فی ظواهر التشبیه فی حق الله تعالی
اما قوله علیه السلام خلق الارواح قبل الاجساد اراد بالارواح
ارواح الملایکة و الاجساد اجساد العالم من العرش و
الکرسی و السموات و الکواکب و النار و الهوی و الماء
و الارض کما ان اجساد الامیین بجملتها صغیر بالاضافة
الی جرم الارض و جرم الارض اصغر من الشمس بکثیر ثم لا

نسبة لجرم الشمس الی ملکه ثم کذلک السموات التی هو فیه
ثم کل ذلک اتسع له الکرسی اذ وسع کرسیه السموات
و الارض و الکرسی صغیر بالاضافة الی العرش فاذا
فکرت فی جمع ذلک استحقرت اجساد الامیین و لم
یعنهما من مطلق لفظ الاجساد و کذلک فاعلم و تحقق
ان ارواح الادمیین بالاضافة الی ارواح الملایکة
کاجسادهم بالاضافة الی اجساد العالم الذی ذکرنا
و لو رایت ارواح البشر بالاضافة الی ارواح الملایکة
کانت الارواح البشریة کسراج اقتبس من نار عظیمة
طبقة العالم و تلک النار العظیمة هی الارواح الاخیرة من
ارواح الملایکة و لارواح الملایکة ترتیب و کل واحد منفرد

ترتيبه ولا يجتمع في مرتبة واحدة اثنان بخلاف الارواح
البشرية المكثرة مع اتحاد النوع والمرتبة اما الملائكة
فكل واحد نوع براسه هو كل ذلك النوع واليه الاشارة
بقوله تعالى وانا لنحن الصافون وبقول الرسول عليه السلام
ان الراكع منهم لا يسجد والقايم لا يركع وانه ما من واحد
الا له مقام معلوم فلا يغنم اذا من الارواح المطلقة ارواح
الملائكة واجساد العالم واما قوله عليه السلام انا اول
الانبيآء خلقا وآخرهم بعثا فالخلق منها هو التقدير دون
الايجاد فانه قبل ولادته امه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن
الغايات والكمال سابقة في التقدير لاحقة في الوجود وهو
المعنى في قولهم اول الفكرة آخر العمل بيانه ان المهندس المقدر

لتلدار اول ما يتمثل صورته في تقديره هي دار كاملة
وآخر ما يوجد من اثر اعماله هي الدار الكاملة فالدار
الكاملة اول الاشياء في حقه تقديرا واخرها وجودا
لان ما قبله من ضرب اللبنات والاحجار وبناء الحيطان
وتركيب الجذوع وسيلة الى غاية وكمال وهي الدار
فالغاية هي الدار ولاجلها تقدم الآلات والاعمال فاذا
عرفت هذا فاعرف ان مقصوده قطرة الادميين اعني
سعادة القرب من الحضرة الالهية ولم يكن ذلك الا بمعرفة
الانبيآء فكانت النبوة مقصودة بالايجاد المقصود
وغايتها لا تنال وانما تكمل بحسب سنة الله بالتدريج فمهد
اصل النبوة بآدم عليه السلام ولم يزل ينمى ويكمل الى

بلغ الكمال لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان المقصود كمال النبوة
وغايتها وتمهيد اوايلها وسيلة اليها كتاسيس البناء وتمهيد
اصول الحيطان فانه وسيلة الى كمال صورة الدار ولهذا السر
كان خاتم النبيين فان الزيادة على الكمال نقصان فاعقل
شكل الآلة الباطشة كف عليه خمس اصابع وكما ان ذا
الاصابع ٥ الاربع ناقص فكذلك ذو الاصابع الستة ناقص لان السادسة
زيادة على الكفاية فهو نقصان بالحقيقة وان كان زيادة في
الصورة واليه الاشارة بقوله عليه السلام مثل النبوة مثل
دار معمورة لم يبق فيها الا موضع لبنة فكنت انا تلك
اللبنة او لفظ هذا معناه فاذا عرفت ان كونه خاتم النبيين
ضرورة لا تتصور خلافها اذا بلغ به الغاية والكمال والغاية

اول في التقدير وآخر في الوجود واما كنت نبيا و ايضاً ٥
آدم بين الماء والطين اشارة الى ما ذكرناه وانه كان
نبيا في التقدير قبل تمام خلقة آدم عليه السلام لانه لم ينشأ
خلق آدم الا ليتنوع اصافي من ذريته ولا يزال يستصفي
تدريجا الى ان بلغ كمال الصفا فيقبل الروح المحمدي ولا
يفهم هذه الحقيقة الا بان تعلم ان للدار مثلا وجودين
وجود في الذهن المهندس حتى كانه ينظر الى صورة الدار
ووجود خارج الذهن في الاعيان والوجود الذهني
سبب لوجود الخارج أعني فهو سابق لا محالة فكذلك
فاعلم ان الله تعالى يقدر اولا ثم يوجد على وفق التقدير
ثانيا وانما التقدير رسم في اللوح المحفوظ كما يرسم في

تقدير المهندس اولا في لوح او قرطاس صورة الدار
فتصير الدار موجودة بكمال صورتها نوعا من الوجود يكون
سوسيا للوجود الحقيقي فكما ان هذه الصورة ترسم في
لوح المهندس بواسطة القلم والقلم يجري على وفق العلم
بل العلم تجريه فكذلك تقدير صور الاصور الالهية ترتسم
اولا في اللوح المحفوظ وانما ينتقش اللوح المحفوظ من القلم
والقلم تجري على وفق العلم فاللوح عبارة عن موجود
قابل لنفس الصورة والقلم عبارة عن موجود منه تنتقش
الصورة على اللوح المنتقش فان حد القلم هو الناقش
لصور معلومات وحد اللوح هو المنتقش بتلك الصور وليس
من شرطها ان تكونا من خشب وخشب بل ليس من شرطها

بجريه

ان تكونا جسمين فالجسمية لا تدخل في حد القلمية وحقيقته
بل روح القلمية واللوحية فاذكرناه والزايد عليه صورة
لا معناه فلا بعد ان يكون قلم الله تعالى ولوحه لا بقلم
باصبعه ويد وكل ذلك على ما يليق بالالهية فيتقدس
عن حقيقة الجسمية بل جملتها جواهر روحانية عالمة بعضها
متعلمة كاللوح وبعضها معلمة كالقلم وان الله تعالى بالقلم
فاذا فهمت نوعي الوجود فقد كان نبيا قبل آدم
بمعنى الوجود الاول التقديري دون الوجود الثاني
الحسي مستدلا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم من مات
فقد قامت قيامته ليس المعنى به هو المراد بالقيامة
المطلقة بل هي قيامة خاصة ذكر تفصيلها في اول كتاب

علم

اتصبر من كتب الاحياء والعياة المطلقة فايعم الكافة
وذلك له ميعاد عند الله تعالى مخفى عن الخلق من الاسرار الله
اعلم به والاوقات وان كانت متشابهة لكن تجوز
في العقل اختصاص بعض المواقيت ببعض انواع الوجود
اما على مذهب المتكلمين فيحال ذلك على المشية كما يحال
باحداث القلم في بعض الاوقات على المشية مع ان
الاوقات متشابهة بالاضافة الى القدرة والى ذات
القديم واما على مذهب الفلاسفة فلا يلزم استحالة
ايضا لانهم متفقون على ان مبادي الحوادث وحركات
الفلك وان ادوارا مختلفة فلذلك تختلف احكام
العلويات واحوال السفليات وليس من ضرورة ولكن كل

دورة ان ينوص عود مثلها فذلك خيال ضعيف
على مذهبهم بل تجوز ان يحدث دور وشكل لم يسبق له
نظير ولا يلحقه نظير ولذلك قد يحدث في بعض الادوار
حيوانات غريبة الشكل لم يعهد مثلها قط ولا يبعد ان
يكون الادوار متشابهة والاستكمال الحاصلة من
تربيتها مختلفة فاذا فرضنا القاء حجرة في الماء يحدث
منها شكل مستدير خلوا يقينا قبل انقطاع حركة الاولى
لم يلزم ان يكون شكل بعد الحركة الثانية لحركة الاولى
لان الحجرة الاولى صادفت الماء ساكنا والثانية صادفته
الحجر متحركا فكان تسكينها للمتحرك خلاف تسكينها للساكن
فيختلف الاشكال مع تساوي الاسباب لامتزاج اثر السابق

بالحق فعلى هذا لا يستحيل ان يكون في التقدير الاول
للادوار دور مخالف للدور المعهود يقتضي نمطاً من
الوجود والابداع على خلاف النمط المعهود ولا يستحق
ان يكون ذلك بديعا لم يسبق له نظير ولا ان يكون
حكمة ثابتا لا يلحقه مثل الدور السابق المنسوخ فبقي النمط
الحاصل من الابداع مستمراً في جنسه فان كان يتبدل
احد احواله فيكون معتاداً لتقدمه حصول ذلك الشكل
الغريب من الاسباب العالية ويكون ذلك سبباً
كاملا جامعا لجميع الارواح فيعم حكمها كافة الارواح
فيكون قيامة عامة مخصوصة بوقت لا يتسع القوة
البشرية لمعرفتها اعني لمعرفة وقتها ولا احد من الانبياء

ايضا يكشف لهم ما يكشف على قدر احتمالهم وقبولهم فاذا
لم يقم برهان كلامي ولا فلسفي على استحالة وجب
التصديق به اذا ورد الشرع به تصريحا فهم ذلك منه
على الضرورة فوجب الايمان به مستدا انكار المنكر
لاعادة النفس الى الجسد في القبر ثم التفرق بينهما
ثم اعادتها في القيامة اليه مصيرا الى ان قوام الارواح
بلا بدن غير معقول انكارا باطلا فان قوام النفس دون
البدن ليس بمشكل بل المشكل تعلقها بالبدن وانه كيف
تتعلق به وهو ليس حالا فيه حلول الاعراض في الجواهر
فانه ليس بعرض بل هو جوهر قايم بنفسه فعرف ذاته وعرف
خالقه وصفات خالقه عز وجل وهو في هذه المعرفة والمعاني

ورود الاستراق اليه لاحتمال
وقدح الشرع به ٩

لا يحتاج الى شئ من الحواس اذ ليس شئ من هذه
المعاني محسوسا والانسان في حال ملابسة البدن قادر
على ان يقدر نفسه غافلا عن المحسوسات كلها وعن السماء و
الارض وسايرالاجسام ويكون في تلك الحالة عارفا
بذاته وبحدوث ذاته وافتقاره الى محدث ذاته
ولا يشعر بشئ من محسوساته فذاته معقولة على هذا الوجه
والمتجرد لذكر الله تعالى على الدوام في بداية طريقة
التصوف يفضي بالمتصوف الى هذا الحال حتى انه يغرب
عن ذهنه سوي الله ويغرب عنه ايضا نفسه ولا يخطر
شعوره شئ من المحسوسات والمعقولات سوي الحق
ولا يشعر بنفسه ولا بعدم شعوره ولا يشعر بشعوره بالحق

بل يكون شاعرا بالحق فقط وان الشعور بالشعور بالحق
غفلة عن الحق فالمعنى المجرد لمعرفة الحق كيف يحتاج
الى بدن وقالب وكيف لا يستغني بذاته عن الجسد
الذي سوء مركب الحواس ولا يراد الا المحسوسات من
عقل حقيقة النفس وعلم قواه بذاته لم يشكل ويصعب تسخيره
وتحركه بتحريكه كما يعلم تحريك الاصابع بتصريف الارادة
مع قطعه بان الارادة ليست في الاصبع لكن الاصبع
مسخرة لما ليس فيها فالنفس وان لم تكن في الجسد
مسخرلها فهل التسخير يجوز ان يحدث ويزول ويعود
ولا يستحيل في العقل شيئ منه ويكون لعوده وزواله
اسباب ملكية وملكية ونفسية ليس تحيط بها القوة البشرية

فعلى هذا الوجه يجب التصديق بما جاء به فيه من التفريق
والاعادة مسئلة الايمان بالميزان واجب لانه اذا
ثبت قوام النفس بجوهرها واستغنائها عن الجسد
فانها بذاتها مهيأة لان تنكشف لها حقايق الامور و
بعد الموت تنكشف الغطاء وتتجلى حقايق الامور ولذلك
قال الله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
وما ينكشف له تاثير اعماله في تقربه من الله تعالى او
ابعاده ومقادير تلك الاثار وان بعضها اشد تاثيرا
من بعض وفي قدرة الله سبحانه وتعالى ان يجري سببا
يعرف الحق بلحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة الى
تاثير انتهاء في التقريب والابعاد فحد الميزان ما يتميز به

الزيادة عن النقصان ومثاله في العالم المحسوس
مختلف فمنه الميزان المعروف والقبان والطيار
والاصطرلاب لحركات الفلك والاوقات
والمسطرة لمقادير الخطوط والعروض لمقادير حركات
الاغاني فالميزان الحقيقي بين الامثلة او غيرها وحقيقة
الميزان وضع موجود في جسم ذلك وسوما يعرف به
الزيادة من النقصان وصورته تكون موجودة
بالحس عند التشكيل وبالخيال عند التمثيل والله اعلم بما يقدره
من تشكيل حقيقي او تمثيل خيالي فالقدرة واسعة والتصديق
به واجب مسئلة الحساب يجب التصديق به لان الحساب
عبارة عن جميع متفرقات المقادير وتعريف مبلغها وما

انسان الآ وله اعمال متفرقة نافعة وضارة ومقربة
ومبعدة ولا تعرف وقد لا يحصر احاد متفرقاتها فاذا
احصرت المتفرقات وجمع مبلغها كان فان كان في
قدرة الله ان يكشف في لحظة واحدة للعاملين متفرقات
اعمالهم ومبلغ اثارهم فهو اسرع الحاسبين ألايمان
بالشفاعة واجب لانها عبارة عن نور يشرق من الحضرة
الالهية على جوهر النبوة وينتشر منها الى كل جواهر الحكمت
منها نسبتها مع جوهر النبوة بشدة المحبة وكثرة المواظبة
على السنن وكثرة الذكر له بالصلاة عليه ومثاله نور
الشمس اذا وقع على الماء فانه ينعكس منه الى موضع
مخصوص من الحائط دون جميع المواضع وانما تحقق ذلك

الموضع بالمناسبة بينه وبين الماء في الموضع وتلك
المناسبة وتلك المناسبة منتفية عن سائر اجزاء الحائط
وذلك الموضع هو الذي اذا اخرج منه خط الى موضع النور
من الماء حصلت زاوية تلي الارض مساوية للزاوية
الحاصلة من الخط الخارج من الماء الى قرص الشمس بحيث
لا يكون اوسع منها ولا اضيق وهذا لا يمكن الا في موضع
واحد مخصوص في الجدار فكما ان المناسبات الوضعية تقتضي
الاختصاص بانعكاس النور فالمناسبات المعنوية العقلية
ايضا تقتضي ذلك في الجواهر المعنوية فمن استولى
عليه التوحيد فقد تاكدت مناسبته مع الحضرة الالهية
واشرق عليه النور من غير واسطة ومن استولى عليه

الاقتدا بالرسول عليه السلام ومحبة اتباعه ولم يترجح
قدمه في ملاحظة الوحدانية لم تستحكم مناسبته اللامع
الواسطة فافتقر الى واسطة في اقتباس النور كما يفتقر
الحائط الذي كان مكشوفا للشمس الى واسطة الا المكشوف
للشمس والى مثل هذا ترجع حقيقة الشفاعة في الدنيا
كالوزير المتمكن في قلب الملك المخصوص بالغاية فان
الملك يغضي عن جريمة اصحاب الوزير ويعفو عنهم لا لمناسبة
بين الملك وبين اصحاب الوزير لكن لانهم يناسبون الوزير
المناسب للملك فافاضت العناية عليهم بواسطة الوزير لا
بانفسهم ولو ارتفعت الواسطة لم يشملهم العناية اصلا الا ان
الملك لا يعرف اصحاب الوزير واظهار الرغبة في العفو شفاعة

على سبيل المجاز وانما الشفيع مكانته عند الملك وانما اللفظ
لاظهار الغرض والله تعالى مستغن عن التعريف ولو
عرف الملك حقيقة اختصاص غلام الوزير به لاستغنى
عن اللفظ وحصل العفو بشفاعة لا نطق فيها ولا كلام والله
تعالى عالم به فلو اذن للانبياء في التلفظ بما هو معلوم
الله لكانت الفاظهم الفاظ الشفعاء، واذا اراد الله تعالى
ان يمثل حقيقة الشفاعة بمثال يدخل في الحس والخيال لم
يكن ذلك التمثيل الا بالالفاظ المألوفة في الشفاعة
وبذلك على انعكاس النور بطريق المناسبة ان جميع
ما ورد من الاخبار عن استحقاق الشفاعة متعلق بما يتعلق
ضمن آثار رسول صلى الله عليه وسلم عن صلوة عليهم او زيارة القبر

او جواب المؤذن والدعاء له عقيبه وغير ذلك مما يحكم
علاقة المجبة له والمناسبة مسئلة الايمان بالصراط حق وما
يقال انه مثل الشعر في الدقة ظلم في وصفه بل هو ادق من
الشعر بل لا مناسبة بينه وبين الشعر كما لا مناسبة في الدقة
بين الخط الهندسي الفاصل بين الشمس والظل الذي ليس
من الظل ولا من الشمس ودقة الصراط مثل دقة الخط الهندسي
الذي لا عرض له اصلا لانه على مثال الصراط المستقيم وهو
في الدقة مثل الخط الهندسي والصراط المستقيم عبارة عن
الوسط الحقيقي بين الاخلاق المتضادة كالسخاوة بين التبذير
والبخل وكالشجاعة بين الاسراف والتقتير وكالتواضع
بين الكبر والاسترسال وكالعفة بين الشهوة والجمود او

عن الاخلاق المتضادة لها اطراف بافراط وتفريط
هما مذمومان وبين الافراط والتفريط وسط وهو غاية
البعد من الطرفين وهو القصد وكانه ليس من طرف
الزيادة ولا من طرف النقصان كالخط الفاصل بين
الظل والشمس ليس من الظل ولا من الشمس هذا التحقيق
هو ان كمال الادمي في مشابهة الملايكة وهم منقطعون
عن هذه الاضداد المتضادة وليس في امكان الانسان
الانفكاك عنها بالكلية فكلف ما يشبه الانفكاك وان لم يمكن
حقيقة الانفكاك وهو الوسط فان الفاتر كانه لا حار
ولا بارد والعودي كانه لا ابيض ولا اسود والبخل و
التقدير من صفات الانسان والمقتصد السخي كانه لا بخيل

ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الطريق الحق الوسط بين
الطريقين الذي لا ميل له الى احد الجانبين وهو ادق من
الشعرة فالذي يطلب غاية البعد من الطريقين يكون
على الوسط ولو فرضنا حلقة حديد محماة بالنار وقعت
نملة فيها وهي تهرب بطبعها من الحرارة فلا تقف الا
على المركز لانه الوسط الذي هو في غاية البعد من
المحيط المحرق وتلك النقطة لا عرض لها فاذا الصراط المستقيم
هو الوسط بين الطريقين ولا عرض له فهو ادق من الشعر
ولذلك خرج عن القدرة البشرية الوقوف عليه فوجب
على كل شخص ان يكون واردا على النار ورودا ما يقدر
مثله كما قال الله تعالى وان منكم الا واردها ولذلك قال سبحانه

ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا
كل الميل فان العدل بين المرأتين في المحبة والوقوف
على درجة متوسطة لا ميل فيها الى احدهما كيف يدخل
ذلك تحت الامكان فاذا فهمت هذا فاذا مثل الله
تعالى لعباده في القيمة هذا الصراط المستقيم الذي يطالب
كل امرء بالاستقامة عليه بمثل ما هو مثل الخط الهندسي الذي
لا عرض له فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم
مر على ذلك الصراط ولم يمل الى احد الجانبين لانه تعود
في هذا العالم التحفظ عن الميل فصار ذلك وصفا طبيعيا
له فان العادة طبيعة ثانية فمر على الصراط المستقيم مستويا
فهذا بين قطعا كما ورد به الشرع سدد ما سألته عن البرهان

على الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر فالقول فيه طويل عند من لا يعرفه وجب عند العارف
فانك اذا عرفت انك حادث وان الحادث لا يستغني عن
المحدث فقد حصل لك برهان على الايمان بالله تعالى وما
اقرب الى العقل من يأتي المعرفتين بمعنى انك حادث وان
الحادث لا يحدث نفسه فاذا عرفت نفسك وانك
جوهر خاصيتك معرفة الله تعالى ومعرفة ما ليس بمحسوس
ليس البدن قوام ذاتك فانهدام البدن لا يعدمك
فقد عرفت اليوم الآخر بالبرهان فانه لا معنى له الا ان
لك يومين يوم حاضر انت فيه مشغول ببدا الجسد ويوم
آخر انت مفارق لهذا الجسد وان لم تكن قوامك بالجسد

وقد فارقته باليوم فقد حضر اليوم الآخر واذا عرفت
انك اذا فارقت المحسوسات بمفارقة الجسد بقيت اما منعما
بمعرفة الله تعالى التي هي خاصية ذاتك ومنتهى لذاتك
بمقتضى طبعك الاصلي لو لم تمرض بالميل الى الشهوات
او معذبا بالحجاب عن الله الذي هو منتهى شقوتك من
حب الدنيا واعراضها ولم يكن الطبع الاصلي حائلا بينك
وبين ما تشتهيه وعرفت ان سبب المعرفة الذكر والفكر
والاعراض عن غير الله تعالى وسبب المرض من معرفة الله
الاقبال على الشهوات والحرص على الدنيا وعرفت ان
الله قادر على ان يعرف عموم عباده ذلك بواسطة الكشف
لبعض خواص عباده عرفت انه قد فعل ذلك وقد عرف

رسله بالبرهان وامنت واذا عرفت ان هذه التوهمات
للانبياء عليهم السلام اما ان تكون في كسوة الفاظ و
عبارات وحي اليهم ويلقى في سمعهم اما في يقظة او بمنام
فقد امنت بالكتب واذا عرفت ان الله تعالى منقسمة
الى ما فعله بغير واسطة والى ما فعلت فان وسايط مختلفة
المراتب فالوسايط القريبة هم المقربون وعنهم يعبر بالملائكة
وبان لك ان معرفة هذا بطريق البرهان غير ممكن والقول
فيه طويل فصدق الرسل في اخبارهم عنهم بعد ان عرفت
صدق الرسل بالبرهان وكيف يدلك فانه درجة من
درجات الايمان يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اتوا العلم درجات مسئلة اللذات المحسوسة الموعود

في الجنة من ماكول ومليوس ومنكوح ومشموم يجب
التصديق بها لامكان وليعتقد امكانها على ثلثة اوجه
حسي وخيالي وعقلي اما الحسي فلا يخفى معناه وامكانه
في هذا العالم فانه بعد رد الروح الى الجسد وقيام البرهان
على امكانه يجعل جميع ذلك في حز الامكان ولا يمنع من
هذا ان بعض هذه اللذات ليست مستطابة ولا مرغوبا
فيها رغبة بالغة كاللبن والخمر والطلح المنضود فان هذا
قد خوطب به جماعة مشتد رغبتهم فيها وفي الجنة كلها شهية
كل احد هذا مما يشتهيه قوم شهوة صحيحة والذين لا يشتهون
ذلك ولا يستلذون لعظم ذاتهم يخلق لهم الشهوة و
ليس لوقاع مما يوجب ضرورة اللذة بل الفطرة اولا

تصدق الشهوة والى الله خلق الشهوات واللذات
بحب الشهوات والناس كلهم الا من شاء الله لا
تصدق بواطنهم بلذة النظر الى وجه الله تعالى وان اقروا
به ظاهرا لانهم اذا انفكوا عن المعرفة انفكوا عن الشوق
فانفكوا عن ادراك اللذة ولكن الله تعالى يقوي شهوتهم
ومحبتهم ومعرفتهم حتى تعظم لذة الرؤية عندهم في الآخرة
واما الخيالي فلا يخفى امكانه ولذته كما في النوم الآن
النوم مستحق لانقطاعه على قرب فلو كانت دائما لم
يظهر فرق بين الخيالي والحسي لان التذاذ الانسان
بالصورة من حيث ايضا عنها في الخيال والحس لا
من حيث وجودها من خارج فلو وجدت من خارج

ولم توجد في حسه بالانطباع لم تكن هناك لذة ولو تيقن
المنطبع في الحس عدم الخارج لدامت اللذة والقوة
المتخيلة قد تقدر على اختراع الصورة في هذا العالم الا
ان صورها المخترعة مختلفة وليست محسوسة ولا منطبعة
في القوة الباصرة فلذلك لو اخترع صورة جميلة في
غاية الجمال وتوهم حصرها ومشاهدتها لم تعظم لذته لانه ليس
ببصير مبصرا كما في النوم فلو كانت له قوة على تصويرها
في القوة الباصرة كما له قوة على تصويرها في القوة
المتخيلة لعظمت لذته ونزل منزل الصورة الموجودة
من خارج ولن تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى الا
من حيث كمال القدرة على تصوير الصورة في القوة الباصرة

فكلما يشتهيه تحضر عنده في الخيال فيكون شهوته سبب
تخيله وتخيله سبب ابصاره اي سبب انطباعه في القوة
الباصرة فلا يخطر شيئ يميل اليه الا يوجد في الحال اي يوجد له
بحيث يراه واليه الاشارة بقوله عليه السلام ان في
الجنة سوقا يتباع فيه الصور السوق عبارة عن اللطف
الالهي الذي هو منبع القدرة على اختراع الصور بحسب المشية
ويكون انطباع القوة الباصرة به انطباعا ثابتا الى
دوام المشية لا انطباعا هو يعرض الزوال من غير اختيار
كما في النوم في هذا العالم وهذه القدرة اوسع واكمل
من القدرة على ايجاد خارج الحس لان الموجود خارج
الحس لا يوجد في مكانين فاذا صار مشغولا باستماع واحد

ومشاهدته وحاسته صار مستغرقا به محجوبا عن غيره واما
هذا فيتسع اتساعا لا ضيق فيه ولا منع حتى لو اشتهى
مشاهدة صلى الله عليه وسلم الف شخص في الف مكان
في حالة واحدة لشاهدهم لحاضرا لهم في اماكنهم المختلفة
واما الابصار الحاصل في شخص النبي عليه السلام الموجود
من خارج الحس لا يكون الا في مكان واحد وحمل امر
الآخرة على ما هو اوسع واوفى كما يحمل امر السموات
هو اوفق لها واولى ولا يقصر عن رتبتها في الوجود اختصاص
وجودها بالحس وانتفاء وجودها من خارج فان وجودها
مراد لذاته وحظه من وجوده وجوده في حسه فاذا وجد
فلا ينقص عن توفره حظه والباقي فضل لا حاجة اليه مراد لذاته غير

النبي ؟

طريق الى المقصود وقد تعين كونه طريقا في هذا العالم
الضيق الباهر واما في ذلك العالم فيتسع الطرق ولا تتغير
هذا الطريق واما الوجه الثالث في امكانه فهو الوجود
العقلي ان تكون هذه المحسوسات امثلة اللذات عقلية ليست
محسوسة لكن العقليات تنقسم الى انواع كثيرة فحينئذ اللذات
كالحسيات امثلة لها وكل واحد يكون مثالا للذة اخرى مما
رتبته في العقليات يوازي رتب المثال في الحسيات
وانه لو تري رأي في المنام الحضرة والماء الجاري والوجه
والانهار المملوة باللبن والخمر والعسل والاشجار المزينة
بالجواهر واليواقيت والالآلي والقصور المبنية من الذهب
والفضة والانسوة المرصعة بالجواهر والغلمان المماثلة

بهن بديهة للحذقة لكان المعبر عن نفس ذلك بالسرور
لا يحمله على نوع واحد بل يرد كل واحد على نوع آخر
وقرة العين يرجع بعضه الى سرور العلم وكشف المعلومات
وبعضه الى سرور المملكة ونفاذ الامر وبعضه الى مقهر
الاعداء وبعضه الى مشاهدة الاصدقاء وهي وان
شملتها اسم اللذة والسرور فهي مختلفة المراتب مختلفة
الذوق لكل واحد مذاق يفارق الآخر وكذلك
اللذات العقلية ينبغي ان يفهم كذلك وان كانت مما
لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
فجميع هذه الاقسام ممكنة فيجوز ان يجمعن لكل واحد ويجوز ان
يكون نصيب كل واحد منه بقدر استعداده والمشهود

بالتقليد والجمود على الصور الذي لم ينفتح له طرق التحقيق
تمثل له هذه الصور والعارفون المستبصرون لعلم الصور
واللذات المحسوسة تفتح لهم من لطايف السرور واللذات
العقلية ليس بهم ويشفي شرههم وشهوتهم اذ حد الجنة ان فيها
لكل امرء ما يشتهيه فاذا اختلفت الشهوات لم يعد ان تختلف
العطيات واللذات والقدرة واسعة والقوة البشرية
عن الاحاطة بعجايب القدرة قاصرة والرحمة الالهية الفت
بوساطة النبوة الى كافة الخلق القدر الذي احتملته
افهامهم فيجب التصديق بما فهموه والاقرار بما وراء منتهى
الفهم من اصور ما يليق بالكرام الاتي فلا يفهم بالفهم البشري
ولا يدرك ذلك الا في مقعد صدق عند مليك مقتدر

مسئلة لعلك تقول هذه اللذات الحسية الخيالية
التي وعدت في الجنة لا تدرك الا بالقوة الحساسة
المتخيلة وهذه القوى جسمانية لا يتصور ايداعها الا
في الجسم فكذلك البقر وعذاب جهنم لا تدرك الا بها
الا بالقوى الجسمانية واذا فارقت الروح الجسد
الاجزاء واضمحلت القوة الخيالية والحسية فكيف
تمثل لمانع الزكوة شجاع اقرع ويسلط على الكافر في
القبر تنينون له تسعة وتسعون رئسا كما في الخبر فهذه
الصور اما خيالية واما حسية وقد بطل الكل بالموت
فكيف سبيل اثباتها واعلم ان هذا يستنكره من يسطل
حشر الاجساد ويحيل رد النفس الى الجسد وليس يقوم

على استحالة برهان حقيقي بل لا بعد ان يوضع بعض
الاجسام ليحيل النفس واحساسها بعد الموت لا في
القبر ولا في القيمة وكلما ذكره الاوايل في الدلالة
على احالة ليس ببرهان محقق الشرع قد ورد به فيجب
تصديقه ودليل انه ليس مبرهنا عند الفلاسفة ذلك
ان افضل متاخري الفلاسفة ابو علي بن سينا وقد
اثبت ذلك في كتاب النجاة والشفا وقال لا
يبعد ان يكون بعض الاجسام السماوية موضوعا لتخيل
النفس بعد الموت وحكى ذلك عمن عظم رتبته اذ قال
وقد قال من لا يجازف من العلماء ان ذلك غير ممتنع
وهذه الصفة تدل على انه شاك في هذه الاصل ولم يقم

عند برهان عليه ولو كان محالا عنده لما وصف
تاويله بانه لا يجازف بل اي مجازفة يزيد على
القوله بالمحال وربما يقول تاويل ان ذلك انما
ذكره على سبيل المجاطة والتقية والا فقد ذكر في
مسئلة التناسخ من كتاب النفس استحالة تناسخ
الابدان لنفس واحدة وذلك بعينه دليل ابطال
الحشر للاجساد فقول ما ذكره في استحالة التناسخ
ايضا ليس ببرهان محقق فانه لو عاودت النفس جسدا
واستعد لقبول فاضت اليه نفس من واهب الصور
فان المستعد يستحق بذاته قبول الصور فيوحي الى ان
يفيض اليه نفس وتتعلق به النفس المنتسخة فيجتمع نفسان

لبدنٍ واحدٍ هو محال وهذا الذی ذکره یمکن ان یستعمل
فی اعادة حشر الاجساد لکنه ضعیف اذ یقال یجوز ان
یخلف الاستعدادات فیکون من الاستعدادات ما یناسب
النفس المفارقة الموجودة من قبل حتی تحتاج تدبر باو
لا یحتاج الی افاضة نفس جدیدة فانه لو استعدت
فی الارحام نطفتان لقبول النفس فی حالة واحدة
فاضت الیها نفسا من واهب الصور واختص بکل
واحد منهما نفس ولیس اختصاصه بالحلول فیه فان النفس
لا تحل فی الاجساد حلول الاعراض لکن اختصاص النفس
باحد الجسمین المستعدین لمناسبة بینهما فی الاوصاف
فی احد المستعدین اختصاص احد النفسین دون الاخر فاذا

جاز هذا التخصیص فی نفسین متماثلین فلم لا یجوز
فی النفوس المفارقة اذا توفر علی المستعد حقه من
النفس المفارقة المناسبة له لم لا یفیض الیه نفس
جدیدة یفیض الیه من واهب الصور اولا یفیض وتعرف
هذا الکلام عوص لست اخوض فیه وانما المقصود بیان
ان من انکر حشر الاجساد لا برهان معه واذا لم یتبین علیه
برهان عقلت الادراکات الحسیة والخیالیة بعد الموت
فی القبر وفی البقیة فان قال قائل نحن نراه فی القبر
لا حس له ولا حرکة قلنا وقد نری صاحب السکتة کذلک
والادراک یجوز ان یقوم بجزء ضعیف یکاد لا یتجزی
ولو فی باطن المیت ولا اعتماد علیه فی عدم المشاهدة

بحركته مسئلة وردفي الخبر ان حسنات الظالم ينقل الى
ديوان المظلوم في القيامة وسيئات المظلوم ينقل الى
ديوان الظالم وربما يقول من لا يفهم اسرار النبوة ان
هذا محال لان الحسنات والسيئات عبارة عن اعمال
وحركات قد انقضت وانعدمت فكيف ينقل المعدوم
بل لو كانت باقية فهي اعراض فكيف ينقل الاعراض
وانا اقول نقل الحسنات والسيئات لسبب الظلم واقع
في الدنيا في وقت جريان الظلم لكن ينكشف في القيامة
غيري طاعات نفسه في ديوان غيره لا ينقل في ذلك الوقت
بل ينقل في الدنيا كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار اجز عن ذلك في الآخرة وهو كذلك
في الدنيا ولم تتجدد ذلك في الآخرة لكن لا تكشف حقيقة
لكافة الخلق الا في القيمة وما لم يعلم الانسان وليس
موجودا له فان كان موجودا في نفسه فاذا علمه صار
موجودا له وكانه وجد الآن في حقه فقد تبين ان تجدده
عن تلك الحالة كما يتوهم تجدد الوجود فقد سقط بهذا
قول من قال المعدوم كيف ينقل فنقول ان المنقول
ثواب الطاعة وذلك شايع في المجاز والاستعارة

وان العرض كيف ينقل

مسئلة ثواب الطاعة عرض او جوهر فان كان
عرضا فلا اشكال في نقله قايم وان كان جوهرا فاذلك
نجوهر فاقول اعني ثواب الطاعة اثر الطاعة في القلب
فان للطاعات تاثيرا في القلب في التنوير وللمعاصي

تاثيرا بالقسوة والظلمة فبانوار الطاعة يستحكم مناسبة
القلب من استعداده لقبول المعرفة ومشاهدة الحضرة
الربوبية وبالقسوة والظلم يستعد للبعد والحجاب عن
مشاهدة الجمال الالهي فالطاعة موجبة لذة المشاهدة
بواسطة الصفاء والنور الذي يحدث في القلب والمعصية
توجب الحجاب بواسطة الظلمة والقسوة التي تعقب في
القلب من اثار الحسنات والسيئات تعاقب وتضاد
ولذلك قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
وقال النبي عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها والالام
بمحصات الذنوب ولذلك قال النبي عليه السلام ان
الرجل يثاب حتى الشوكة تصيب رجله وقال الحدود

كفارات لاهلها فالظالم يتبع شهوته بالظلم وفيه ما تقتضي
قلبه ويسوده فيمحو اثر النور الذي في قلبه من طاعته
وكانه احبط طاعته والمظلوم يتالم وتنكسر شهوته و
يستنير قلبه وتفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له من
اتباع الشهوات فانتقل النور الذي كان في قلب الظالم
الى قلب المظلوم وانتقل السواد من قلب المظلوم الى
قلب الظالم فهذا معنى نقل الحسنات والسيئات فان
قال قائل فليس بذا نقلا حقيقيا بل حاصله راجع الى بطلان
النور من قلب الظالم وحدوث نور الاخر في قلب
المظلوم وبطلان ظلمة من قلب المظلوم وحصول ظلمة في
قلب الظالم وليس بذا نقلا قلت اسم النقل قد يطلق

على هذا الجنس على سبيل الاستعارة كما يقال انتقل الظل
من موضع وانتقل نور السراج من الارض الى الحائط
كما يقول الطبيعي اذا استولت الحرارة في الصيف على
وجه الارض انهزمت الحرارة الى باطنها وكل انهزام
فهو انتقال وكما يقال تنقلت ولاية القضاء، والخلافة من
فلان الى فلان وكل ذلك ليس نقلا كنقل الولاية و
نقل الظل بحركة الشمس فالنقل الحقيقي ان يكون ما حصل في
المحل الثاني غير ما حل عن المحل الاول فان كان مثله
ولم يكن عينه سمي ايضا نقلا مجازا فهذا معنى نقل الطاعات
وليس فيه الا انه كني بالطاعة عن ثوابها كما يكنى بالسبب
عن المسبب ويسمى اسناد الوصف في محل بابطال مثله في

محل آخر نقلا وكل ذلك شائع في اللسان ومعناه
معلوم بالبرهان لو لم يرد الشرع به فكيف اذا ورد
مسئلة سئلت عن رؤية الله في المنام وان ذلك
فيما اختلف فيه الناس فاعلم ان الخلاف في هذا غير
متصور بعد الكشف عن حقيقة المسئلة والحق انا نطلق
القول بان الله تعالى يرى في المنام كما نطلق بانه
يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ولكن من
لا يفهم رؤية الرسول في المنام ولعل العالم الذي
طبعه قريب من طباع العوام فهم ان من راى النبي
صلى الله عليه في المنام فقد حقيقة شخصه المودع في روضة
المدينة شق القبر وخرج مرتحلا الى موضع الرؤية وهذا اشد

كيف يفهم رؤية الله في المنام

جهله ان کان توهم ذلک فانه قد یری الف رآه فی
لیلة واحدة فی الف موضع فکیف یعرض شخص واحد
فی الف موضع فی لحظة واحدة وکیف یتصور شخص
واحد فی حالة واحدة بصور مختلفة شیخ وشاب وطویل
وقصیر وصحیح ومریض ویری علی جمیع هذه التصور من انتهت
حماقته الی هذا الحد فقد انخلع عن غریزة العقل فلا ینبغی
ان یخاطب ولعله یقول ما نراه مثاله لا شخصه
فیقال هو مثال شخصه الذی هو لحمه ودمه وعظمه فاین حاجته
الی تمثیل شخصه وشخصه فی نفسه متخیل ومحسوس ثم من
رآی شخصه بعد الموت دون روحه فکانه ما رای قط
علیه السلام فکیف یکون رآیا نا له رؤیة مثال شخصه بل الحق

انه مثال روحه المقدسة التی هی محل النبوة فما رآه
من الشکل لیس هو النبی علیه السلام وجوهره ولا
شخصه بل مثاله علی التحقیق فای معنی لقوله صلی الله
علیه وسلم من رآنی فقد رآنی لا معنی له الا ما رآه مثال
صار واسطة بینی وبینه فی تعریف الحق ایاه وکما
ان جوهر النبوة اعنی الروح المقدسة البالغة من النبی
علیه السلام بعد وفاته منزه عن الکون والشکل والصورة
لکن ینتهی تعریف ذاته الی الامة بواسطة مثال صادق
فهو حق ذلک المثال شکل له لون وصورة وان کان
جوهر النبوة منزها عن ذلک فکذلک ذات الله تعالی
منزه عن الشکل والصورة لکن ینتهی بعض بقایا الی

البعد بواسطة مثال محسوس من نور او غيره من
الصور الجميلة التي تصلح ان تكون مثالا للجمال الحقيقي
المتري الذي لا صورة له ولا لون ويكون ذلك
المثال صادقا وحقا وواسطة في التعريف فيقول
الترائي رأيت الله سبحانه وتعالى في المنام لا بمعنى
اني رأيت ذاته كما يقول رايت النبي صلى الله عليه وسلم
لا بمعنى انه رأى ذات روحه او ذات شخصه بل
بمعنى انه رأى مثاله فان قيل النبي صلى الله عليه وسلم
له مثال والله تعالى لا مثل له قلنا هذا جهل بالفرق بين
المثل والمثال فليس المثال عن المساوي في جميع الصفات
والمثال لا يحتاج فيه الى المساواة فان العقل يعني لا يدرك

بمماثلة غيره مماثلة حقيقية وانما يضرب الشمس له مثلا
لما بينهما من المناسبة في شيء واحد وهو ان المحسوسات
تنكشف بالشمس كما تنكشف جميع المعقولات بالعقل
فهذا القدر من المناسبة كاف للمثال في النوم كما
يمثل السلطان بالشمس والقمر بالوزير والسلطان لا
يماثل الشمس بصورته ولا بمعناه ولا الوزير يماثل
القمر الا ان السلطان له استعلاء على الكافة وتعم
امره الجميع والشمس تناسبه في هذا القدر والقمر واسطة
بين الشمس والارض هي في افاضة اثر النور كما ان
الوزير واسطة بين السلطان والرعية في افاضة
نور العدل فهذا مثال ليس بمثل والله تعالى قال الله

نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها
مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب
دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا
غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم يمسسه نار واي
مماثلة بين نوره جل وعلا وبين المصباح والزجاجة
والمشكاة والشجرة والزيت وقال تعالى انزل من
السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا
رابيا الآية ذكر تمثيلا للقرآن والقرآن صفة قديمة
لا مثل له وكيف صار الماء مثل صفة الآله وكم من المناقات
عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من رؤية اللبن
والجبل فقال اللبن هو الاسلام والجبل هو القرآن الى امثال

له لا تحصى واي مماثلة بين الاسلام اللبن في مناسبة
ان الجبل متمسك به للنجاة والقرآن متمسك به للنجاة
ايضا واللبن غذا به يكون الحياة الظاهرة والاسلام
غذا به تكون الحيوة الباطنة فهذه جملة مثال وليس
بمثل على هذه الاشياء لا مثل لها فالله تعالى لا مثل له
لكن امثله مجازية لمناسبات معقولة عن صفاته فانا
اذا عرفنا ان الله تعالى كيف يخلق الاشياء وكيف
يعلمها وكيف يريدها وكيف يتكلم وكيف يقوم الكلام
بنفسه مثلنا جميع ذلك بالآيات ولولا ان الانسان
عرف من نفسه هذه الصفات لما عرف وافهم ان
مثاله في حق الله حق والمثل باطل فان قيل هذا التحقيق

الذي ذكرتموه ليس يفضي الى ان الله تعالى يرى في
المنام بل الى ان النبي عليه السلام ايضا لا يرى فان
المرأ مثاله لا عينه وقوله من رآني فقد رآني فهو نوع
تجويز معناه كانه راني وما سمع من المثال كانه سمع
مني قلنا وبهذا جاز ان يقال بقوله رايت الله تعالى
في المنام فانما اراد به انه رأى ذاته على ما هو عليه فلا
فانه جعل الاتحاد على ان ذات الله تعالى وذات
النبي عليه السلام لا يرى في النوم وان مثالا يعتقد
النايم ذات الله تعالى او ذات النبي عليه السلام تجوز
ان يرى وكيف ينكر ذلك مع وجوده في المنامات
فان لم يره بنفسه فقد تواتر اليه من جماعة انهم رأوا ذلك

الا ان المثال المعتقد قد يكون صادقا وقد يكون
كاذبا ومعنى الصادق جعل الله اياه واسطة بين الراي
وبين الذي عليه في تعريف بعض الامور وفي قدرة
الله تعالى على خلق مثل هذه الواسطة بينه وبين العبد
وايصال الحق به وهو موجود فكيف ينكر امكانه
فان قيل اذا كان رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم
متجوزا والتجويز مما قد اذن في اطلاقه في حقه فلا يجوز
في حق الله تعالى من الاطلاقات الا ما ورد الاذن
به قلنا ورد الاذن باطلاق ذلك قال الرسول عليه السلام
رأيت ربي في احسن صورة وهذا مما قد اورد في الاخبار
التي قد وردت في الصورة لله تعالى كقوله عليه السلام

خلق آدم على صورته وامثال ذلك وليس المراد به
صورة الذات اذ الذات لا صورة لها الا من
حيث التجلي بالمثال كما تجلى جبرئيل في صورة دحية الكلبي
وفي غيره من الصور حتى انه رأي مرارا كثيرة وما
راي جبرئيل عليه السلام مثالا مؤديا عن جبريل عليه السلام
اوحي اليه وكذلك قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا واذا
لم يكن ذلك استحالة في ذات الملك وانه لا ينفي
جبرئيل عن حقيقته وصفه وان ظهر للنبي صلى الله عليه وسلم
في صورة دحية الكلبي فلا يستحيل مثل ذلك في حق
الله تعالى في يقظة ولا منام فهذا ما يدل من جهة
الخبر على جواز اطلاقه وقد ورد من السلف اطلاق

في صورة دحية الكلبي بل يعني انه ظهرت تلك الصورة للرسول عليه السلام

ذلك ونقل فيه اثارا واخبارا ولم يرد فيه
اطلاق لكنا نجوز اطلاق كل لفظ في حق الله تعالى
صادق لا يمنع منه ولا يحرم اذا كان توهم رؤية
الذات عند الاكثرين لكثرة تداول الالسنة له
فان فرض شخص توهم عند خلاف الحق فلا ينبغي
ان يطلق معه القول بل يفسر له معنا كما نجوز لنا ان
نقول انا نحب الله تعالى ونشتاق اليكم زيد
لقاءه وقد يسبق الى فهم قوم من هذه الاطلاقات
خيالات فاسدة والاكثر يتفهمون معناه على وجهه
من غير خيال فاسد فنرجح في هذه الاطلاقات
حال المخاطب فنجوز الاطلاق من غير كشف وتفتيش

نقول

لا ابهام وتجب الكشف عند الابهام وعلى الجملة
يرد الخلاف الى اطلاق اللفظ وجوازه بعد حصول
الاتفاق على محض المغايرة من آن ذات الله تعالى
غير مرئية والمرائي مثال وظن من ظن استحالة
المثال في حق الله تعالى خطاء بل يجب
لله تعالى ولصفاته الامثال
وينزه عن المثل لا
عن المثال تم

كتاب التفرقة بين الزندقة و

الايمان قال الشيخ الامام السعيد حجة الاسلام

زين الدين ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

قدس الله روحه احمد الله تعالى استسلاما للعزة

واستمساكا بالعصمة واستغناما لتوفيقه ومعونته واستعصاما

من خذلانه ومعصيته واستدرارا للسوابغ رحمته و

اصلي على محمد عبده ورسوله وخير خليقته انتقاء للنبوة

واستجلابا بشفاعته وقضاء لحق رسالته واعتقادا

بيمن يقينه وعلى آله واصحابه وعترته اما بعد فاني

رأيتك ايها الاخ الشفيق والصديق المتعصب موغر

الصدر مقسم الفكر لما قرع سمعك من طعن طائفة

من الحشوية على كتبنا المصنفة في اسرار المعاملات بعض

الدين وزعمه ان فيها ما يخالف مذاهب الاصحاب

المتقدمين والمشايخ المتكلمين وان العدول عن مذ

الاشعري كفر وان مباينته حسر فهون ايها الاخ

على نفسك ولا تضيق به صدرك وقل من غرب

قليلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا واستجر

من لا يحسد ولا يقذف واستفض من بالكفر والضلال

لا تعرف فاي داع اكمل من سيد المرسلين وقد قالوا

فيه انه ضال مجنون واي كلام اصدق من كلام رب

العالمين وقد قالوا فيه ان اساطير الاولين فاتيك

ان تشتغل بخصامهم او تطمع في اخذ اموالهم فانك تطمع في غير
مطمع وتغرف من غير منبع اما سمعت قول القائل
كل العداوة ترجى صداقتها الا عداوة من عاداك في الدين
ولو كان فيه مطمع لاحد من الناس كما قال الله تعالى
وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا
في الارض او سلما في السماء فتاتيهم بآية وقال تعالى
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما
سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون وقال تعالى ولو
نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين واعلم ان حقيقة الكفر
والايمان لا تجلى للقلوب المدنسة بطلب الجاه والمال

وجها وانما ينكشف لقلوب طهرت من اوصاف
الدنيا اولا ثم عجب بالرياضة البالغة ثانيا ثم يورث
بالعلم ثالثا ثم زكيت بالشرع رابعا حتى فاض عليها
النور من مشكاة النبوة وصارت كانها مرآة مجلوة
وصار مصباح الايمان في زجاجة قلبه مشرقا للانوار
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وكيف يتجلى الملكوت
لقوم آلهتهم اهواؤهم ومعبودهم شياطينهم وقبلتهم
دنانيرهم ودراهم جاماتهم وعبادتهم شهواتهم وذكرهم
وساوسهم وهمتهم استبطاط الحيل في جمعها فهو لاء من
اين يتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان اما الهام
ولم يفرغوا القلوب من كدورات الدنيا ميهات هذا المطلب

اعز من ان يدرک بالمنى او ينال بالهوينا فاشتغل
بشانک ولا تضيع فيهم زمانک واعرض عمن تولى عن
ذکرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فصل واما انت
فخاطب خصمک وطالبه بحد الکفر والايمان فان زعم
ان الکفر ما يخالف الاشعري والجبلي والمعتزلي فاعلم
انه عنيد قد حتم التقليد فهو اعمى من العميان فلا يصنع
باصلاحه الزمان واسئله من اين ثبت کون الحق و
ما عليه حتى قضى بکفر الباقلاني اذ خالف في صفة البقاء
لله تعالى وزعم انه ليس وصفا زائدا على الذات ولم صار
ألباقلاني اولى بالکفر لمخالفه الاشعري من الاشعري بمخالفه
ألباقلاني ولم صار الحق وقف دون الثاني اذ ذلک
لاجل التسبق في الزمان فقد سبق الاشعري غيره من
المعتزلة فليکن الحق للسابق عليه ام لاجل التفاوت
في الفضل والعلم فبأي مکيال او ميزان قدر درجات
الفضل حتى لاح له ان الافضل في الوجود من متبوعه
ومقلده وان رخص للباقلاني في مخالفته فلم حجر على
غيره وما الفرق بين الباقلاني والکرابيسي والقلانسي
وغيرهم وان زعم ان خلاف ألباقلاني يرجع الى
لفظ لا تحقيق وراءه وانهما متوافقان على دوام الوجود
والخلاف في ذلک راجع الى الذات او الى وصف
زايد عليه خلاف قريب لا يوجب تبديعا فضلا بله تشديدا
ألقول على المعتزلي في بقية الصفات وهو معترف بان الله

تعالى عالم محيط بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات و
انما يخالف الاشعري في انه عالم قادر بالذات او بصفة
زايدة فما الفرق بين المخالفين وايّ مطلب اجلّ و
اخطر من صفات الحق تعالى في نفيها واثباتها فان قال
انما اكفر المعتزلي واشدد لانه يزعم ان الذات الواحد
تصدر عنها فايدة العلم والقدرة والحيوة وهي صفات
مختلفة بالحد والحقيقة مستحيل ان يوصف بالاتحاد وتقوم
مقامها الذات وسمع كونه واحدا سوزبور وانجيل
وتورية وفرقان وسوايفا امر ونهي وخبر واستخبار
وهذه حقايق مختلفة وكيف لا وحد الخبر ما يتطرق اليه التصديق
والتكذيب ولا يتطرق ذلك الى الامر والنهي وكيف

والنظره

الواحد فما باله لا يستبعد الامر الاشعري
قوله ان الكلام صفة واحدة قايمة
بالذات ص

يكون حقيقة واحدة يتطرق اليه التصديق والتكذيب
ولا يتطرق اليها ذلك فيجتمع النفي والاثبات فان
تخبط في جواب هذا او عجز عن كشف الغطاء عنه فاعلم
انه ليس من اهل النظر وانما هو مقلد ينبغي ان يسكت عنه
لانه قاصر عن سلوك سبل الاستجاح وان كان اهلا له
متبوعا لا تابعا واماما لا مأموما فان خاض المقلد في
المحاجة فذلك فضول والمشتغل به ضارب في حديد بارد
وطالب لاصطلاح الفاسد ولن يصلح العطار ما افسد الدهر
ولعلك ان انصفت علمت ان من جعل الحق وفاقا على
واحد من النظار بعينه فهو الى الكفر والتناقض اقرب اما
الكفر فلانه يراه بمنزلة النبي عليه وسلم المعصوم الذي لا

يثبت الايمان الا بموافقه ولا يلزم الكفر الا بخالفته
واما التناقض فهو ان كل واحد من النظار موجب للنظر و
محرم للتقليد فكيف يقول يجب عليك النظر مع تعليدي
او يجب عليك ان تنظر ولا تري في نظرك الا ما رأيت
فكل رأيته حجة فعليك ان تعتقده حجة وما رأيته شبهة
فعليك ان تعتقده شبهة فاي فرق بين من يقول
قلدني في مجرد مذهبي وبين من يقول قلدني في مذهبي
ودليلي جميعا وهل هذا الا تناقض فصل لعلك تشتهي
ان تعرف حد الكفر اعلم ان ذلك يطول ودركه عامض
ولكني اعطيك علامة صحيحة مطردة منعكسة تتخذها مطمح
نظرك وترعوي بسببها عن تكفير الفرق وتطويل اللسان في

أهل الاسلام وان اختلف طرقهم ما داموا يقولون
لا اله الا الله محمد رسول الله صادقين غير ناقضين
لها واقول ان الكفر هو تكذيب الرسول عليه السلام
في شيء مما جاء به والايمان هو التصديق له في جميع ما
جاء به فاليهودي والنصراني كافران لتكذيبهما الرسول
عليه السلام والتوهمي كافر لانه انكر المرسل وهذا لان
الكفر بحكم شرعي كالرق والحرية مثلا اذ معناه اباحة
الدم والحكم الخلود في جهنم وهذا مدرك شرعي اما بنص او قياس
على منصوص وقد وردت النصوص من اليهود و
النصارى والتحق بهم فريق الملاحدة البراهمة والثنوية
والزنادقة والدهرية فكلهم مشتركون في انهم يكذبون

الناده

بالرسل وكل كافر فهو يكذب للرسول وكل يكذب
للرسول فهو كافر فهذه العلة مطردة ومنعكسة فصل
اعلم ان هذا الذي ذكرناه تحته غور بل تحته كل الغور
لان كل فرقة تكفر الاخري وينسبها الى تكذيب الرسول
فالحنبلي يكفر الاشعرية زاعما انه كذب الرسول في نفي اثبات
جهة الفوق لله تعالى والاستواء على العرش والاشعري
يكفره زاعما انه شبه وكذب الرسول عليه السلام في انه
ليس كمثله شئ والاشعري يكفر المعتزلي زاعما انه كذب
الرسول في جواز رؤية الله تعالى وفي اثبات العلم
القدرة والصفات والمعتزلي يكفر الاشعري زاعما ان
اثبات الصفات يكثر القدماء ويكذب الرسول في التوحيد

ولا ينجيك من هذه الورطة الا ان تعرف حد التكذيب
والتصديق وحقيقتهما وبذلك تنكشف لك علو هذا
الفرق واسرافهما في تكفير بعضهما بعضا فاقول ان التصديق
يتطرق الى الحد وحقيقة الاعتراف بما جاء به الرسول عليه السلام
واخبر عن وجوده الا ان الوجود خمس مراتب فلا جل
الغفلة تنسب صاحبتها الى التكذيب فان الوجود
ذاتي وحسي وخيالي وعقلي وشبهي فمن اعترف بوجود
ما اخبر الرسول عن وجوده بوجه من هذه الوجوه
الخمسة فهو مؤمن ولنذكر مثال هذه التأويلات اما الوجود
الذاتي فهو الوجود الحقيقي والثابت خارج الحس والعقل
لكن نأخذ الحس والعقل صورته فيستمي احده ادراكا لوجود

السماء والارض وما بينهما وهو ظاهر موقوف وامّا الوجود
الحسّي فهو ما يتصور في القوة الباصرة من العين تمثلا
وجود له خارج العين فيكون موجودا ويختص به الحاسّ
ولا يشاركه غيره وذلك كما نشاهد النايم بل كما نشاهد
المريض المسقط اذ قد يتمثل له صفة لا وجود لها خارج حسّه
حتى يشاهده كما يشاهد سايرَ الموجودات الخارجة بل قد
يتمثل للانبياء والاولياء في اليقظة والصحة صور جميلة
محاكية لجواهر الملائكة وينتهي اليهم الوحي والالهام
بواسطتها فيتلقون من امر الغيب في اليقظة ما يتلقاه
غيرهم في النوم وذلك لشدة صفاء باطنهم كما قال الله
تعالى فتمثل لها بشرا سويا وكان الرسول عليه السلام

راى جبرئيل كثيرا ولكن فارايي على صورته الا مرتين
وقال من رانى في المنام فقد رآني فان الشيطان
لا يتمثل بي ولا يكون رؤيته بمعنى انتقال شخصه من
روضة المدينة الى موضع النايم بل على سبيل وجود
صورته في حسّ النايم فقط وسيبين ذلك وسرّه
طويل فان كنت لا تصدق به فصدّق عليك فانك
تاخذ قبسا من نار كانه نقطة ثم تحركها بسرعة حركة
مستقيمة فراه خطا وتحركها حركة مستديرة فترى دايرة
من النار والدايرة والخط مشاهدان وهما موجودان
في حسّك لا في الخارج لان الموجود في الخارج
نقطة في كل حال وانما يصير خطا في اوقات متعاقبة

فلا يكون الحظ في حالة واحدة وهي كانت في مشاهدتك
في حالة واحدة واما الوجود الخيالي فهو صورة هذه
المحسوسات اذا غابت عن حسك فانك تقدر ان تخترع
في خيالك صورة فيل وفرس وان كنت مغمض
العينين حتى كانك تشاهده وهو موجود بكمال صورته
في دماغك لا في خارج واما الوجود العقلي فهو ان
يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى فيتلقى العقل مجرد معناه
دون ان تثبت صورته في خيال او حس او خارج
كاليد مثلا فان لها صورة محسوسة متخيلة ولها معنى وحقيقة
وهو القدرة على البطش والقدرة على البطش هو اليد
العقلي والقلم صورة ولكن حقيقة ما يتبين به القلم وهذا

يتلقاه العقل من غير ان يكون متقرونا بصورة قصب
او خشب او غير ذلك من الصور الخيالية واما
الوجود الشبهي فهو ان لا يكون نفس الشيء موجودا
لا بصورته ولا بحقيقته لا في خارج ولا في حس ولا في
خيال ولا في عقل ولكن يكون الوجود شيئا آخر يشبهه
في خاصة من مراتب وجود الاشياء. فصل اسمع
الآن امثلة هذه الدرجات في التأويلات اما الوجود
الذاتي فلا يحتاج الى مثال وهو الذي يجري على الظاهر
ولا يتأول وهو الوجود الحقيقي المطلق وذلك كاخبار
الرسول عليه السلام عن العرش والكرسي والسموات
السبع فانه يجري على ظاهره اذ هذه اجسام موجودة في

انفسها ادرکت بالحس والخیال اولم تدرک وامّا الوجود
الحسّیّ فامثلته فی آلتاویلات کثیرة فاقنع منها بمثالین
احدهما قوله علیه السلام یؤتی بالموت یوم القیمة فی
صورة کبش املح فیذبح بین الجنة والنار فان من قام
عند البرهان علی ان الموت عرض او عدم عرض
فان انقلاب العرض جسما مستحیل عنده غیر معقول
فیاوّل الخبر علی ان اهل القیمة یشاهدون ذلک و
یعتقدون انه الموت ویکون ذلک موجودا فی حسّهم
لا فی الخارج یکون سببا لحصول الیقین بالیاس من
الموت بعد ذلک اذ کان المذبوح مایوسا منه ومن
لم یقم عند هذا البرهان فعساه یعتقد ان نفس الموت

ینقلب کبشا فی ذاته ویذبح والمثال الثانی قوله علیه
السلام عرضت علی الجنة فی عرض هذا الحائط فمن
قام عند البرهان علی ان الاجسام لا تتداخل وان
الصغیر لا یسع الکبیر حمل ذلک ان نفس الجنة لم تنتقل الی
الحائط لکن تمثل للحس صورتها فی عرض الحائط حتی کانه یشاهدها
ولا یستحیل مثال شیء کبیر فی جرم صغیر کما یشاهد السماء
فی مرآة صغیرة ویکون ذلک ابصارا مفارقا لمجرد
تخیل صورة الجنة اذ یدرک التفرقة بین ان تری السماء
فی المرآة وبین ان تغمض عینیک وتقدر صورة السماء
فی المرآة علی سبیل التخیل وامّا الوجود الخیالی فمثاله
قوله علیه السلام کانی انظر الی یونس بن متی علیه السلام

وعليه قطوانيتين وهو يلبي وتجيبه الجبال والله يقول له
لبيك يا يونس فالظاهر منه ان هذا اخبار عن مثل
هذه الصورة في خياله اذ كان وجود هذه الحالة
سابقا على وجوده صلى الله عليه وقد انعدمت فلم يكن
في الحال موجودا ولا بعد ان يقال ايضا تمثل في حسه
حتى صار مشاهده مشابهة الاجنام للصورة ولكن قوله
صلى الله عليه كاني انظر يشعر بانه لم يكن له حقيقة النظر بل
كالنظر والغرض التفهيم بالمثل لاعيان هذه الصورة
وعلى الجملة مهما يمثل في محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة
وقل ما يتميز بالزمان استحالة المشاهدة فيما تصور فقط بالتخيل
واما الوجود العقلي فامثلته كثيرة ولكن اقتنع منها بمثالين

احدهما قوله عليه السلام آخر من يخرج من النار
يعطى من الجنة عشرة امثال الدنيا فان ظاهره
يشعر الى انه عشرة امثال بالطول والعرض والمساحة
وهو التفاوت الحسي والخيالي ثم قد يتعجب فيقال
الجنة في السماء كما دلت عليه ظواهر الاخبار فكيف
يتسع السماء لعشرة امثال الدنيا والسماء ايضا من
الدنيا وقد يقطع العاقل بهذا التعجب فمقول المراد به
تفاوت معنوي عقلي لا حسي ولا خيالي كما يقال في
المثل هذه الجوهرة عشر اضعاف الفرس اي في الثمانية
ومعناه المدرك عقلا دون مساحة المدركة في الحس
والتخيل الثاني قوله عليه السلام ان الله تعالى خمر طينة

آدم بيد اربعين صباحا فقد اثبت لله تعالى يدا من
قام البرهان عنده على استحالة يد الله تعالى بي خارجة
غير محسوسة او متخيلة فثبت ان لله تعالى يدا روحانية
عقلية اعني انه ثبت معنى اليد وحقيقة وروحه دون
صورة اليد اذ روح اليد ومعناه ما به بطش وفعل
ويعطي ويمنع والله تعالى يعطي ويمنع بوساطة الملائكة
كما قال الله تعالى اول ما خلق الله العقل فقال بك اعطي و
امنع ولا يمكن ان يكون المراد به العقل الذي هو عرض
كما يعتقده المتكلمون اذ لا يمكن العرض ان يكون اول مخلوق
بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة تسمى عقلا من
حيث يعقل الاشياء بذاته وجوهره من غير ان يعلم

ربما سمي قلما باعتبار انه ينقش حقايق العلوم في الواح
قلوب الانبياء والاولياء وسائر الملائكة وحيا والهاما
فانه قد ورد في حديث آخر ان اول ما خلق الله تعالى
القلم فان لم يرجع ذلك الى العقل فقد تناقض الخبران
ويجوز ان يكون لشئ واحد اسماء كثيرة باعتبارات
مختلفة فيسمى عقلا باعتبار ذاته وملكا باعتبار نسبته الى
الله تعالى في كونه واسطة بين الله تعالى وخلقه وقلما
باعتبار ما يصدر عنه من نقش العلوم بالالهام والوحي
كما يسمى جبريل روحا باعتبار ذاته وامينا باعتبار ما
اودع من الاسرار وذو مرة باعتبار قدرته وشدته
القوي باعتبار كمال قوته ومكينا باعتبار قرب منزلته و

مطاعًا باعتبار كونه متطوعًا فی حق بعض الملایكة فهذا
القایل یكون قد اثبت قلمًا ویدًا عقلیًا لا حسیًا ولا
خیالیًا اما القدرة واما غیرها كما اختلف فیه المتكلمون
واما الوجود الشهی فمثاله الغضب والشوق والفرح
والصبر وغیر ذلك مما ورد فی حق الله تعالی فان الغضب
مثلا غلیان دم القلب لارادة الانتقام وهذا لا
ینفك عن نقصان وألم فمن قام عنده البرهان علی
استحالة تغیر الغضب لله ذاتیًا وحسیًا وخیالیا وعقلیًا
نزله علی ثبوت صفة اخری تصدر عنها ما یصدر عن الغضب
كارادة العقاب والارادة لا تناسب الغضب فی
حقیقته كله لكن فی صفة من الصفات یقارنها واثر من الاثار

یصدر عنها وهو الایلام فهذه درجات التاویلات

فصل اعلم ان كل من تاول قولا من اقوال
الشرع علی درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقین
وانما الكذیب ان ینفی جمیع هذه المعانی ویزعم ان ما
قاله لا معنی له وانما هو كذب وعرضه فیما قاله التلبیس و
مصلحة الدنیا وذلك هو الكفر المحض والزندقة الخالصة
ولا یلزم الكفر للمتاول بل من ما دام موایلا زمون قوانین التاویل
كما ستشیر الیه وكیف یلزم الكفر به وهو من فریق من
اهل الاسلام الا وهو مضطر الیه فابعد الناس عن التاویل
احمد بن حنبل رحمه الله وابعد التاویلات من الحقیقة واقربها
الی ان یجعل الكلام مجازًا او استعارة هو الوجود العقلی و

الوجود البشهي واحمد مضطرب اليه وقايل به وقد سمعت
الثقات من ايمة الحنابلة ببغداد يقولون ان احمد بن
حنبل صرح بتاويل ثلث احاديث فقط احدها قول النبي
عليه السلام الحجر الاسود يمين الله في الارض والثاني
قوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
والثالث قوله عليه السلام اني لاجد نفس الله من قبل
اليمن فانظر كيف تاول هذا الى قام عنده البرهان على
استحالة ظاهر هذه الاخبار فقوله اليمن بقبل تقربا الى
صاحبها والحجر الاسود يقبل تقربا الى الله تعالى فهو كاليمن
لا في الذات ولا في صفات الذات ولكن في عارض من
عوارضها يسمى يمينا وهذا هو الذي سميناه الوجود البشهي وهو بعد

وجوه التاويل فانظر كيف اضطر اليه ابعد الناس
عن التاويل وكذلك لما استحالت عند وجود الاصبعين
لله تعالى حسا اذ ميز مفتش عن صدره لم يشاهد فيه اصبعين
فتاول على روح الاصبعين وهو الاصبع العقلي الروحاني
اعني روح الاصبع ما به تيسر تقليب الاشياء وقلب المومن
بين لمتين لمة الملك ولمة الشيطان وبهما يقلب الله تعالى
القلوب فكفى باصبعين عنهما وانما افتقر احمد بن حنبل على
تاويل هذه الثلثة الاحاديث لانه لم يظهر عنده الاستحالة
الا في هذا القدر لانه لم يكن متمنا في النظر العقلي ولو
تظهر له ذلك في الاختصاص بجهة الفرق وغيره مما يادي له
الاشعري والمعتزلي لزيادة بحثها جاوزا الى تاويل

ظواهر كثيرة واقرب الناس الى الخابطة في امور الآخرة
الاشاعرة فانهم قرروا فيها اكثر الظواهر الا اليسير المعترلة
اشد منهم توغلا في التاويلات ومع هذا فيضطرون الى
تاويل امور اعني الاشعرية كما ذكرناه في تاويل فتح الميزان
وكاوردي في وزن الاعمال وقال يوزن صحايف
الاعمال وتخلق فيها ثقلا بقدر درجات الاعمال وهذا
رد الى الوجود الشبهي البعيد فان الصحايف اجسام كتب
فيها رقوم تدل بالاصطلاح على اعمال سيء اعراض قد انقضت
وليس الموزون اذا اتعمل بل محل يقين يدل على العمل
كذلك المعتزلي يتاول معنى الميزان ويقول هو كناية
عن سبب به ينكشف لكل واحد مقدار عمله وهذا بعيد عن

التقشف وليس الغرض التصحيح الا حد التاويلين بل تعلم
ان كل فريق وان بالغ في مجاوزة الظواهر فهو مضطر
الى التاويل لما ان تجاوز الحد في البغاوة والتجاهل
فيقول الحجر الاسود يمين الله تحقيقا والموت وان كان
عرضا فينقلب كبشا والاعمال وان كانت اعراضا قد
قدمت فيقال الى الميزان ويكون فيها اعراض سيء
النقل ومن ينتهي الى هذا الحد من الجهل فقد انخلع من عزة
العقل فصيل فاسمع الآن قانون التاويل فقد عرفت
اتفاق الفرق على هذه الدرجات الخمس في التاويل وان
شيئا من ذلك ليس من جنس التكذيب واتفقوا ان جواز
ذلك موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر

والمظاهر الاولف الوجود الذاتي فانه اذا ثبت تضمن
الجميع فان تعذر فالوجود الحسي فانه ان ثبت تضمن
ما بعده وان تعذر فالوجود الخيالي والعقلي فان تعذر
فالوجود الشبهي المجازي ولا رخصة في العدول عن درجة
الى ما دونها الا بضرورة البرهان فيرجع الاختلاف
على التحقيق الى البراهين اذ يقول الحنبلي لا برهان عليّ
استحالة الرؤية فكل واحد ما يرتضي ما يذكره الخصم دليلاً قاطعاً فكيف ما كان فلا ينبغي ان يكفر كل فريق
خصمه بان يراه غالطاً في البرهان نعم يجوز ان يسمى ضالاً
او مبتدعاً من حيث انه ابتدع قولاً لم يعهد من السلف
التصريح به اذ من المشهور بين السلف ان الله تعالى يرى

استحالة اختصاص الباري تعالى بجهة الفوق ويقول الاشعري لا برهان عليه

فقول القائل لا يرى بدعة وتصرفه بتأويل الرؤية
بدعة بل ان ظهر عنده ان ملك الرؤية معناها مشاهدة
القلب فينبغي ان لا يظهره ولا يذكره لان السلف لم
يذكروه لكن غير هذا يقول الحنبلي اثبات الفوق لله تعالى
مشهور عند السلف ولم يذكر احد منهم ان خالق العالم
ليس متصلاً بالعالم ولا منفصلاً عنه ولا داخلاً فيه ولا
خارجاً منه فان الجهات الستة خالية عنه فان نسبته
جهة فوق اليه كنسبته جهة تحت فهذا قول مبتدع او
البدعة عبارة عن احداث قول لم يثبت عن السلف وعند
هذا يصح لك ان تعلم ان مذهبي احد هما مع عوام الخلق و
الحق فيه الاتباع عن تاويل الظاهر رأساً والحذر من النوعين

التفريح بتأويلات لم يصرح بها الصحابة وحسم باب
التعمق والتأسيس والخوض فيما يشبه من الكتاب
والسنة كما روي عن عمر انه سأل سبائيل عن آيتين متعارضتين
فعاذه بالله وكما روي عن مالك رحمه الله انه سئل عن قوله
تعالى على العرش استوى فقال الاستواء معلوم والايمان به
واجب والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والمقام الثاني
بين النظار الذين اضطربت عقايدهم بالمأثورات
المروية فينبغي ان يكون ظنهم بقدر الضرورة وتركهم النظر
بضرورة البرهان القاطع ولا ينبغي ان يكفر بعضهم بعضا
بان يراه غالطا فيما يعتقده برهانا فان ذلك ليس
امرا يقينيا سهل المدرك ولكن البرهان بينهم قانونا متفقا

عليه يعترف كلهم به فانهم اذا لم يتفقوا في الميزان لم
يمكنهم رفع الخلاف بالوزن وقد ذكرنا الموازين
الخمس في كتاب القسطاس المستقيم وهي التي لا يتصور
الخلاف فيها اصلا بل يعرف كل من فهمها انها مدارك
العقول اليقينية قطعا والمحيطون بها يسهل عليهم عند الانصاف
والانتصاف كشف الغطاء ورفع الخلاف ولكنه لا يستحيل
بينهم الاختلاف ايضا اما انه لقصور عن ادراك تمام
شروطه واما لرجوعهم في النظر الى محض القريحة والطبع
دون الوزن بالميزان كالذي يرجع بعد تعلم العروض
في الشعر الى الذوق فمتى قصر عن استكماله عرض كل شعر
على العروض فلا بعد ان يغلط واما اختلافهم في العلوم

ایتی می مقدمات البراهین فان من العلوم التی هی
اصول البراهین تجربیة و تواتریة و غیرها و الناس
مختلفون فی التجربیة و التواتریة فقد یتواتر عند واحد
ما لا یتواتر عند غیره و قد یتولی تجربة ما لا یتولاه غیره
و اما لالتباس قضایا الوهم بقضایا العقل و اما لالتباس
الکلمات المشهورة المحمودة بالضروریات و الاولیات کما فصلنا
ذلک فی کتاب محل النظر و لکن بالجملة اذا حصلوا تلک
الموازین و حققوها امکنهم الوقوف عند ترک المعیار علی
مواضع الغلط علی کثیر فصل من الناس من یبادر
الی التاویل بمغلبات الظنون من غیر برهان قاطع فلا
ینبغی ان یبادر الی تکفیره فی کل مقام بل ینظر فیه فان کان

تاویله فی امر لا یتعلق باصول العقاید و مهماته فلا یکفر
و ذلک مثل قول بعض الصوفیة ان المراد بربوبیة
الخلیل علیه السلام الکوکب و القمر و الشمس و قوله هذا ربی فی
غیر ظاهرة کقایل هی قال جواهر نوریة ملکیة و نورانیتها
عقلیة لا حسیة و لها درجات متفاوتة فی الکمال بنسبة
ما بینها من التفاوت نسبة الکوکب و القمر و الشمس و
یستدل علیه بان الخلیل اجل من ان یعتقد فی جسم انه
اله حتی یحتاج الی ان یشاهد افوله افتراه لو لم یاول
اکان تخذه الها و لم یعرف استحالة الالهیة من حیث
کونه جسما مقدورا و استدل بانه کیف یمکن اول مارآه
الکوکب مع ان الشمس هو الاظهر و سواول ما یری

الکوکب

استدل ايضا بان الله تعالى قال اولا وكذلك نرى
ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين
وهذه دلالات ظنية وليست ببراهين اما قوله هو اجل
من ذلك فقد قيل انه كان صبيا لما جرى له ذلك ولا
بعد ان يظن انه سيكون في صباه مثل ذلك الخاطر ثم
يتجاوزه على قرب ولا بعد ان يكون دلالة الافول
على الحدث اظهر من دلالة التقدير والجسمية والاعراضية
الكوكب فقد روي انه كان مجوسيا في صباه في غار
وانما خرج بالليل واما قوله تعالى اولا كذلك نري
ابرهيم ملكوت السموات والارض فيجوز ان يكون قد ذكر
الله تعالى نهاية حكايته ثم رجع الى نهاية بدايته فهذه

وامثالها ظنون نطقا براهين من لا يعرف حقيقة البرهان
وشرطه فهذا جنس تاويلهم وقد يتاول الظنون العصاة
والنعلين في قوله تعالى واخلع نعليك والق ما في
يمينك فلعل الظن في هذه الامور التي لا تتعلق باصول
الاعتقاد يجري مجرى الخطاء في اصول الاعتقاد فلا
يكفر فيها ولا يبدع نعم ان كان فتح هذا الباب والتصريح به
يتداعى الى تشويش قلوب العوام فيبدع صاحبه في
كلام يؤثر عن السلف ذكره ويقرب من هذا القول
الباطنية ان عجل السامري متاول اذ كيف يخلق ذا
خلق كثير من عاقل يعلم ان المتخذ من ذهب وفضة لا يكون
الها وهذا الظن ايضا لا يحتمل ان ينتهي الجهل ببطلانه الى

ذلك كجهة الاوثان وكونه قادرا برهان قاطع كالذي
ينكر حشر الاجساد وينكر العقوبات الحسية في الآخرة
يظنون اوهام من غير برهان قاطع كالذي ينكر حشر
الاجساد وينكر العقوبات الحسية في الآخرة يظنون
اوهام من غير برهان قاطع فيجب تكفيره قطعا اولا برهان
على استحالة رد الارواح الى الاجساد وذكر ذلك
عظيم الضرر في الدين يجب تكفير كل من نطق به وهو مذهب
اكثر الفلاسفة وكذلك يجب تكفير من قال منهم ان الله
تعالى لا يعلم الا نفسه ولا يعلم الا الكليات فاما الامور
الجزئية المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب
الرسل صلوات الله عليهم قطعا وليس من قبيل الدرجات

التي ذكرناها في التأويل وادلة القرآن والاخبار على
حشر الاجساد وتعلق علم الله تعالى بتفصيل كل ما يجري على
الاشخاص بحار وزحمة القادر بل وهم معترفون ان هذا
ليس من التأويل ولكن قالوا لما كان صلاح الخلق
في ان يعتقدوا حشر الاجساد لقصور فهمهم عن فهم المعاد
العقلي وكان صلاحهم في اعتقاد ان الله تعالى عالم بما
يجري عليهم لورث ذلك رغبة ورهبة في قلوبهم جاز
للرسول ان يفهمهم ذلك ليس بكاذب من اصلح غيره
وقال ما فيه صلاحه وان لم يكن كما قاله وهذا القول باطل
قطعا لانه تصريح بالكذب ثم طلب عذر في انه لم كذب
ويجب اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة ففي التصديق

وأصلاح الخلق مندوحة عن الكذب وهذا اول درجات
الزندقة وهي رتبة بين الاعتزال والزندقة المطلقة فان
الاعتزال يقرب مناهجهم من مناهج الفلاسفة الا في هذا
الامر الواحد وذلك ان المعتزلي لا يجوز الكذب على
الرسول عليه السلام بمثل هذا القدر بل يتأول الظاهر
فهما ظهر له البرهان بخلافه والفلسفي لا يقتضي مجاورته
تلفظوا امرا على ما يقبل التاويل من قرب او بعد واما
الزندقة المطلقة فهو ان ينكر اصل المعاد عقليا وحسبا و
ينكر صانع العالم اصلا ورأسا واما اثبات المعاد بنوع
عقلي مع نفي الآلام واللذات الحسية من اثبات الصانع
مع نفي علمه بتفاصيل الامور فهو زندقة معقدة بنوع اعتراف

يصدق الانبياء بقلب ظن والعلم عند الله ان هؤلاء
هم المرادون بقوله عليه السلام ستفترق امتي ثنتين
وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة
هذا لفظ الحديث في بعض الروايات وظاهر الحديث
يدل على انه اراد الزنادقة من امته اذ قال ستفترق
امتي من لم يعترف بنبوته فليس من امته والذين
ينكرون اصل المعاد واصل الصانع فليسوا معترفين
بنبوته اذ هم يزعمون ان الموت عدم محض وان العالم
لم يزل كذلك موجودا بنفسه من غير صانع فلا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر وينسبون الانبياء عليهم السلام الى التلبيس فلا
يمكن نسبتهم الى الالهة فاذا المعنى لزندقة هذه الالهة

الا ما ذكرناه فصل اعلم ان شرح ما يكفر به وما لا يكفر به
يستدعي تفصيلا طويلا يفتقر الى ذكر كل المقالات
والمذاهب وذكر شبهة كل واحد ودليله ووجهه
بعده عن الظاهر ودرجة تأويله وذلك لا تحويه مجلدات
كثيرة ولن يتسع لشرح ذلك اوقاتي فاقتنع ابو صيتة بنبي
وقانون اما الوصية فان تكف لسانك عن اهل القبلة
ما امكنك ما داموا قائلين لا اله الا الله محمد رسول الله
غر ما قضين لها فاما المناقضة بتجويزهم الكذب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذر او غير عذر فان التكفير
فيه خطر والسكوت لا خطر فيه اما القانون فهو ان تعلم
ان النظريات قسمان قسم يتعلق باصول العقايد وقسم

يتعلق بالفروع واعلم ان اصول الايمان ثلثة
الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر وما عداه فروع
واعلم انه لا يكفرنا في الفروع اصلا لكن في بعضها
خطبة كما في الفقهيات وفي بعضها بدع مثل الخطاء
المتعلق بالامامة واحوال الصحابة واعلم ان الخطاء
في اصل الامامة وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها
لا يوجب شيئا منها يكفر او عدوكون كيسان افضل
وجوب الامامة ولا يلزم تكفره ولا يلتفت الى قوم
يعظمون امر الامامة ويجعلون الايمان بالامام مقرونا بالايمان
بالله ورسوله ولا الى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم
في الامام فكل ذلك اسراف وليس في واحد من القولين

تكذيبا للرسول ايضا ومهما وجد التكذيب وجد التكفير
وان كان في الفروع فلو قال قائل مثلا البيت الذي
بمكة ليس هو الكعبة التي امر الله تعالى بالحج اليها فهذا كفر
او ثبت بالتواتر من رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف
ذلك ولو انكر شهادة الرسول عليه السلام وكذلك
البيت بانه الكعبة لم ينفعه انكاره بل يعلم قطعا انه معاند
في انكاره الا ان يكون قريب العهد بالاسلام ولم
يتواتر عنده ذلك وكذلك من نسب عايشة رضي الله
عنها الى الفاحشة وقد نزل القرآن ببراءتها فهو كافر
لان هذا كله واشباهه لا يمكن الا بتكذيب او انكار متواتر
والمتواتر ينكره المنكر بلسانه ولا يمكن ان ينكره بقلبه نعم لو

انكر ما ثبت بالاجماع فهذا فيه نظر لان صورة كون
الاجماع حجة مختلف فيه فهذا حكم الفروع اما الاصول
الثلثة فكلام لا يحتمل التاويل في نفسه وتواتر نقله ولم
يتصور ان يقوم برهان على خلافه فمخالفته تكذيب
محض ومثاله ما ذكرناه من حشر الاجساد واحاطة علم الله
تعالى بتفصيل الامور وما يتطرق اليه من احتمال تاويل ولو
بالمجاز البعيد فينظر فيه الى البرهان فان كان قاطعا
وجب القول به لكن في ان كان يفي اظهاره مع العوام
ضرر لقصور فهمهم فاظهاره بدعة وان لم يكن البرهان قطعيا
لكن يفيد ظنا غالبا وكان مع ذلك لا يعظم ضرره في
الدين كنفي المعتزلة للرؤية فهذه بدعة وليس بكفر واما

يظهر له ضرر فتقع في محل الاجتهاد والنظر فمحل أن يكفر
ويحتمل ان لا يكفر ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض من يدعي
التصوف انه قد بلغ حالة بين الله تعالى وبينه الى حيث
سقطت عنه الصلوة وحل له شرب المسكر والمعاصي وأكل
مال السلطان وهذا لا شك في وجوب قتله وان كان
الحكم بخلوده في النار بطول وقتل هذا افضل من قتل
مائة كافر اذ ضرره في الدين اعظم وينفتح منه باب
من الاباحة لا نستدرك ضرر هذا فوق ضرر من يقول
بالاضافة مطلقا فانه منع من الاضافة اليه بظهور كفره
واما هذا فيهدم الشرع من اساسه ويزعم انه لم يرتكب
فيه الا تخصيص عموم او خصص عموم التكليفات لمن ليس له

مثل درجة في الدين وربما يزعم انه يلبس الله ويدعي
يفارق المعاصي بظاهره وهو بباطنه منه بري ويتداعى
هذا الى ان يدعي كل فاسق مثل حاله ويحل به نظام
الشرع ولا ينبغي ان يظن ان التكفير وتفسيقه ينبغي ان يدرك
قطعا في كل مقام بل التكفير حكم شرعي يرجع الى اباحة
المال وسفك الدم والحكم بالخلود في النار فما خذه
كما خذ سائر الاحكام الشرعية فتارة يدرك بيقين وتارة
يتردد بين يقين ومظنة حصل تردد او بالتوقيت بالتكفير او بالى
بالمبادرة الى التكفير انما يغلب على طباع من يغلب عليه
الجهل فلا بد من التنبيه لقاعدة اخرى وهو ان المخالف
قد يخالف نصا متواترا او يزعم انه تاول وذلك تحقق صاحبه

فكذب وان كان يزعم انه متاول مثاله ما رايته شيئا
كلام بعض الباطنية ان الله تعالى واحد بمعنى انه يعطى
الوحدة وخلقها وعالم بمعنى انه يعطى العلم ويخلقه لغيره
وموجود بمعنى انه يوجد غيره فاما ان يكون واحدا او موجودا
او عالما على اضافة به فلا وهذا كفر صريح لان حمل الوحدة
على اتحاد الوحدة ليس من التاويل بشيء ولا يحتمله لغة
العرب اصلا ولو كان خالق الوحدة يسمى واحدا لسمى
ثلثة واربعا لانه خلق الاعداد كلها ايضا فمثله هذه
المقامات تكذيبا عبر عنها بالتاويلات فصل قد فهمت
من هذه التقسيمات ان النظر في الكفر يتعلق بامور احدها
ان النص الشرعي الذي عدل عن ظاهره تحتمل التاويل ام لا

فان احتمل فهو قريب ام بعيد ومعرفة ما يقبل التاويل
وما لا يقبل وليس بالهين بل لا يستقل الا الظاهر اما من
في علم اللغة العارف باصل اللغة ثم بمعرفة العربية
في الاستعمال استعاراتها وتجويزاتها ومناهجها في ضرب
الامثال الثاني في النص المنزول انه ثبت تواترا
او آحادا او ثبت بالاجماع المجرد فان ثبت تواترا
فهو على شرط التواتر ام لا اذ نظن المستفيض تواترا
او حد التواتر مما لا يمكن الشك فيه كالعلم بوجود الانبياء
ووجود البلاد المشهورة وغيرها وانه متواتر في الاعصار
كلها عصرا بعد عصر الى زمان البعثة ام يتصور ان يكون
قد نقص عدد التواتر في عصر من الاعصار وشرط التواتر

ان لا يحتمل ذلك كما في القرآن ام الى القرآن فنقيض
مدرك ذلك حدا فلا يستقل بادراكه الا الباحثون عن
كتب التواريخ واحوال القرون الماضية وكتب
الاحاديث واحوال الرجال واعراضهم في بعض المقامات
اذ قد يوجد عدد التواتر في كل عصر ولا يحصل به العلم
بوكان يتصور ان يكون الجمع الكثير رابطة في التوافق
لا سيما بعد وقوع التعصب من ارباب المذاهب
كذلك نرى الروافض يدعون النص على علي كرم الله
وجهه في الاية يتواتر عندهم لشياع التواتر الروافض
على افاضة اكاذيبهم واشاعتها واما ما يستبد الى الاجماع
فدرك ذلك من اعضل الاشياء اذ شرطه ان يجمع اهل الحل

والعقد في صعيد واحد وهم يتفقون على امر اتفاقا
لقطا تصريحا ثم يستمرون عليه متفقا عند قوم والى تمام
انقراض العصر عند قوم او مكانتهم اماما امام في
اقطار الارض فيأخذ اقاويلهم في زمان واحد بحيث
يتفق اقوالهم اتفاقا صريحا حتى يجمع الرجوع والخلاف
بعده ثم النظر فيمن خالف بعده هل يكفر لان من
الناس من قال اذا جاز في ذلك الوقت ان
يختلفوا فيجتمل رافعهم على الاتفاق ولا يمتنع على واحد منهم
ان يرجع بعد ذلك وهذا ايضا غامض الثالث النظر
في صاحب المقالة هل تواتر عنه الخبر وهل بلغ الاجماع
اذ كل من يولد لا يكون الا صورة عنه متواترة ولا

مواقع الاجماع عنده متميزة عن مواضع الخلاف انما يدرك
ذلك شيئاً شيئاً وانما يعرف ذلك من مطالعة الكتب
المصنفة في الاختلاف والاجماع تسلف ثم لا يحيل
العلم في ذلك بمطالعة تصنيف او تصنيفين اولا يحيل
تواتر الاجماع به وقد صنف ابو بكر الفارسي رحمه الله
كتابا في مسائل الاجماع وانكر عليه كثير وخولف في
بعض تلك المسائل بادر من خالف الاجماع ولم يثبت
عنده بعد هو جاهل مخطئ وليس بمكذب ولا يمكن تكفيره
والاستقبال في معرفة التحقيق في هذا الفرع الرابع النظر في
دليله الباعث له على مخالفة الظاهر او على شرط البرهان
ام لا ومعرفة شروط البراهين لا يمكن شرحه الا في مجلدات

كثيرة وقد ذكرناه في كتاب القسطاس وكتاب
محك النظر انموذج منه ونكمل فوائد هذا الزمان
عن معرفة شروط البرهان على الاستيفاء ولا بد من
معرفة ذلك فان البرهان اذا كان قاطعا لا يرتضى
فيه الا نفي تأويل قريب سابق الى الفهم الخامس
في ان ذكر تلك المقالة هل يعظم ضرره في الدين ام لا
فان ما لا يعظم ضرره فالامر فيه اسهل وان كان الصوت
شنعا ظاهر البرهان كقول المنظرة ان الامام مجتبى في
سرداب وانه ينتظر خروجه فانه قول كاذب ظاهر
البطلان مشنع جدا ولكن لا ضرر فيه على الدين وانما
الضرر على الاحمق المعتقد لذلك ان نخر كل يوم من

بلدة لاستقبال الامام حتى يدخل ويرجع الى بلده خائبًا
وهذا مثال والمقصود ان لا يكفر بكل هذيان وهذا
ظاهر البطلان واذا فهمت ان النظر في التكفير موقوف
على جميع هذه المقالات التي لا يستقل بها ذو المبرزون
علمت بان المبادرة الى تكفير من يخالف الاشعري
او غيره جاهل مجازف وكيف يشتغل الفقيه بمجرد العلم
بهذا الخطب العظيم وفي اي ربع من ارباع الفقه بضاعة
مجرد هذه العلوم فاذا رأيت الفقيه الذي بضاعته مجرد
الفقه يخوض في التكفير فاعرض عنه ولا تشتغل به قلبك
ولا لسانك فان التحدي بالعلوم غريزة في لا يصبر عنه
الجهال ولاجله كثر الخلاف بين الناس ولو سكت من لا

يعلم لارتفع الخلاف فصل من اشد الناس غلوًا وَ
اسرافا طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين وزعموا
ان من لا يعرف علم الكلام معرفتا ولم يعرف الادلة
الشرعية باوتاتي حررناها فهو كافر فهؤلاء ضيقوا
رحمة الله الواسعة على عباده اولًا وجعلوا الجنة وقفا
على شرذمة يسيرة من المتكلمين ثم جهلوا ما تواتر من
السنة ثانيا اذ من عصر النبي عليه السلام وعصر الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين حكمهم باسلام طوايف من
اجلاف العرب كانوا مشغولين بعباده الاذن ولم
يشتغلوا بتعليم الدلايل ولو قصدوها لما فهموها ومن ظن
ان يدرك الايمان بالكلام والادلة المحققة والتقسيمات

المرتبة فقد أبعد لان الايمان نور يقذفه الله تعالى
في قلب عبده عطية وهدية من عنده تارة بتنبيه من
الباطن لا يمكن التعبير عنه وتارة بسبب رؤيا في المنام
وتارة بقرينة حال فقد جاء اعرابي الى النبي عليه السلام
جاحدا له منكرا فلما وقع بصره على طلعته البهية فراها تتلالا
انوار النبوة قال والله ما هذا وجه كذاب وسأله ان
يعرض عليه الاسلام وجاء آخر اليه فقال انشدك الله
الله بعثك نبيا فقال اي والله الله بعثني نبيا وهذا وامثاله
مما لا يحصى ولم يشتغل واحد منهم بالكلام وتعلم الادلة بل
كان نور الايمان اولا بمثل هذه القرائن في قلوبهم لمعة
بيضاء ثم لا يزال يزداد اشراقا بمشاهدة تلك الاحوال

العظيمة وبتلاوة القرآن وتصفية القلوب فليت
شعري من نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او عن
الصحابة احضارا عربيا اسلم نقول له الدليل على ان
العالم يحدث انه لا يخلو من الحوادث وما لا يخلو
من الحوادث فهو حادث وان الله تعالى
عالم بعلم زايد عن الذات لا هو هو ولا هو غيره الى غير
ذلك من رسوم المتكلمين وليت شعري ان الخبر ليس
الا الالفاظ بل لم يخبر ايضا ما معناه معنى هذه الالفاظ
بل كان لا يكشف عمامة الا عن جماعة من الاجلاف
يسيلون تحت ظلال السيوف وجماعة من الاساري يسلمون
واحدا بعد واحد بعد طول الزمان او على القرب فكانوا

اذا نطقوا بكلمة الشهادة علموا الصلوة والطهارة
ورده وا الى صناعتهم من رعاية الغنم او غيرها نعم لست
انكر انه يجوز ان يكون ذكر ادلة المتكلمين احد اسباب
الايمان في حق بعض الناس ولكن ليس ذلك بمقصود
عليه وسوا يقينا ونادرا بل تسمع الكلام الجاري في خوض
الوعظ كما يشتمل عليه القرآن فانما الكلام المجرد على رسم
المتكلمين يشعر نفوس المستمعين بانه صفة جدل يبعث عنه العامي
لا لكونه حقا في نفسه وربما يكون ذلك سببا لرسوخ
العناد في قلبه وكذلك لا يجري مجلس المناظرة من
المتكلمين ولا الفقها يكشف عن واحد من اعتراف
بدعته الى غيره ولا عن مذهب الشافعي الى مذهب ابي

حنيفة ولا على العكس ويجري هذه الانتقالات باسباب
اخر حتى في العوام بالتسيف ولذلك لم تجر عادة السلف
بالدعوة بهذه المجادلة بل شددوا القول على من
يخوض في الكلام ومشتغل بالبحث والسوال واذا
تركنا المداهنة ومراقبة الجوانب صرحنا بان الخوض
في الكلام حرام لكثرة الآفة فيه الا لاحد شخصين رجل
وقعت له شبهة ليست تزول بكلام قريب وعظي
ولا بحديث نقلي عن قلبه فيجوز ان يكون القول الحق
الكلامي رافعا شبهته ودوا في مرضه فيشتغل معه ويخلص
بين عنه الكلام فيما لم يبن له فيه شبهة فانه كالشخص
الذي ليس به ذلك المرض فانه يوشك ان يحول في

نفسه اشكال و شر له شبهة لمرضه و ليستزله عن اعتقاده
المحروم الصحيح و الشافي شخص كامل العقل راسخ القدم في
الدين ثابت الايمان ناف اليقين يريد ان يحصل بين الضعفاء
ليداوي بها مريضا اذا وقعت له شبهة و يفحم بها مبتدعا
اذا نبغ و ليحرس به معتقدا اذا قصد مبتدع ان يغويه
فيعلم ذلك لهذا الغرض من فروض الكفايات و يعلم
ما يزيل الشك من الشبهة في حق المشكك فرض عين اذا
لم يمكن اعادة اعتقاده المجزوم لطريق آخر سواه فالحق
الصريح ان كل من اعتقد ما جاء به الرسول عليه السلام
و اشتمل عليه القرآن اعتقادا جازما فهو مؤمن و ان لم
يعرف ادلته بل الايمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف

مشرف على الزوال بكل شبهة بل الايمان الراسخ
ايمان العوام الحاصل في قلوبهم من الصبا بتواتر
السماع او الحاصل بعد البلوغ بقرائن لا تمكن التعبير
عنها و تمام تأكد بملازمة العبادة و الذكر و ان ما ورى
به العبادة الى حقيقة القوي و تطهر الباطن من كدورات
الدنيا و طلاوة ذكر الله تعالى و ايما تحلت له انوار
المعرفة و صارت الامور التي كان احدنا بتقليد
عنه كالمعاينة المشاهدة و ذلك حقيقة المعرفة التي
لا تحصل الا بعد انجلاء عقد الاعتقادات و
انشراح الصدر بنور الله تعالى و من يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه كما ينبغي

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شرح
الصدر فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن
قيل وما علامته فقال التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود فهذا ان المتكلم المقبل على الدنيا المنهمك
عليها غير مدرك حقيقة المعرفة ولو ادرك التجافي عن
دار الغرور قطعا فصل لعلك ان تقول انت تأخذ
التكفير من التكذيب لتنصوص الشرعية والشارع صلوات
وسلامه عليه هو الذي ضيق الرحمة على الخلق دون المتكلمين
اذ قال عليه السلام يقول الله تعالى لآدم عليه السلام
يوم القيمة يا آدم ابعث من ذريتك بعيث النار
فيقول يا رب من كم كم فيقول الله تعالى ابعث من كل

الف تسعماية وتسعة وتسعين وقال عليه السلام
ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة كلها ناجية منها واحدة
الجواب ان الحديث الاول صحيح ولكن ليس المعنى
به انهم كفار يخلدون بل هم يدخلون النار ويعرضون
عليها فيتركون فيها بقدر معاصيهم والمعصوم من المعاصي
لا يكون في الالف الا واحد ولذلك قال الله تعالى
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم
بعث النار عبارة عمن استوجب النار بذنوبه ويجوز
ان يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة كما وردت الاخبار
الكثيرة على سعة الرحمة وهي اكثر من ان تخفى فمنها ما روي
عن عايشة رضي الله عنها انها قالت فقدت رسول الله

ويشهد الاخبار

صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فاتبعته فاذا هو بي
تربة يصلي فرايت على راسه انوارا ثلثة فلما مضى عليه
السلام قال من هذه فقلت انا عايشة فقال رايت
الانوار الثلثة قلت نعم يا رسول الله فقال ان
آتيا اتاني من ربي تعالى فبشرني ان الله تعالى يدخل
الجنة من امتي من كل واحد سبعين الفا بغير حساب
ولا عذاب ثم اتاني النور الثاني آت من ربي
تعالى فبشرني انه تعالى يدخل من امتي من كل واحد
سبعين الفا الى الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم اتاني
في النور الثالث آت من ربي فبشرني ان الله تعالى
يدخل من امتي من كل واحد من السبعين الفا بغير حساب

المضاعفة تسعين

ولا عذاب فقلت يا رسول الله لا يبلغ هذا امتك
فقال تكملون لكن من الاعراب من لا يصوم ولا
يصلي فهذا وامثاله من الاخبار الدالة على صحة سعة الرحمة
كثير وهذا في امة محمد عليه السلام خاصة وانا اقول
ان الرحمة يشمل اكثر الامم السالفة وان كان اكثرهم
يعرضون على النار اما عرضة حقيقة حتى في لحظة او ساعة
واما في مدة حتى ينطلق عليهم اسم بعث النار بل
اقول اكثر نصارى الترك والروم في هذا الزمان
يشملهم الرحمة اعني الذين في اقاصي الروم ولم يبلغهم
الدعوة فانهم ثلثة اصناف صنف لم يبلغهم اسم محمد
عليه السلام فهم معذورون وصنف بلغهم اسمه ونعته و

ما ظهر عليه من المعجزات وهم المجاورون لبلاد الاسلام
والمخالطون لهم وهم الكفار الملحدون وصنف ثالث
بين الدرجتين بلغهم اسم ولم يبلغهم نعته وصفته بل سمعوا
منذ الصبى ان كذابا ملبسا اسمه محمد ادعى النبوة كاذبا
فهؤلاء عندي في الصف الاول فانهم مع انهم سمعوا صفته
سمعوا ضده او صافه وهذا لا يحرك داعية النظر والطلب
واما الحديث الاخر وهو قوله ان الجنة منها واحدة
فالرواية مختلفة فقد روى الهالكة منها واحد وهي التي
تخلد في النار لا يحتاج الى الشفاعة بل الذي تعلق به
الزبانية فجروه فليس بناج على الاطلاق وان اسرع
بالشفاعة عن مخالبهم وفي رواية اخرى كلها في الجنة الا الزنادقة

وهي فرقة ويمكن ان الروايات كلها صحيحة فيكون
الهالكة واحدة وهي التي تخلد في النار فيكون الهالك
عبارة عمن وقع اليأس من خلاصه لان الهالك
لا يرجى له بعد الهلاك خير ويكون ان الجنة واحدة وهي
التي يدخل الجنة بغير حساب ولا شفاعة لان من نوقش
الحساب فقد عذب وليس بناج اذا ومن عرض
للشفاعة فقد عرض للمذلة وليس بناج على الاطلاق
وبهذا ان طرفان وسما عبارتان عن نشر الخلق وحشره
وما في الفرق كلهم من هاتين الدرجتين فيهم من يعذب
بالحساب فقط ومنهم من يقرب من النار ثم يعرف
بالشفاعة ومنهم من يدخل النار ثم يخرج على قدر خطاياهم

عقايدهم وبدعهم وعلى حسب كثرة معاصيهم وقلتها فانا
الهالكة المخلدة في النار من هذه الامة هي فرقة
واحدة وهي التي كذبت وجوزت الكذب على
رسول الله صلى الله عليه للمصلحة واما من سائر الامم فمن
كذب بعد ما قرع سمعه على التواتر خروجه وصفته ومعجزته
الخارقة للعادة كشق القمر وتسبيح الحصى ونبع الماء من
بين اصابعه والقرآن المعجز الذي تحدى به اهل الفصاحة
فعجزوا عنه فاذا قرع سمعه ذلك فاعرض وتولى ولم ينظر
فيه ولم يتأمل ولم يبادر الى التصديق فهذا هو الجاحد
المكذب وهو الكافر ولا يدخل في هذا اكثر الروم والترك
الذين بعدت بلادهم عن بلاد الاسلام بل اكثر من قرع سمعه

هذا فلا بد ان تنبعث منه داعية الطلب لتبين حقيقة
الامر ان كان من اهل الدين وان لم يكن من اهل الدين
استحبوا الدنيا على الاخرة فان لم تنبعث من
هذه الداعية فذلك لركونه الى الدنيا وخلوه من الخوف
وخطر من الدين وذلك كفر وان انبعثت الدعوة فقصر
في الطلب فهو ايضا كافر اذ كان ذو الايمان بالله واليوم
الآخر من اهل كل ملة لا يمكنه ان يغتر عن الطلب بعد
ظهور المخايل بالاسباب الخارقة للعادة فان اشتغل
بالنظر والطلب ولم يقصر فادركه الموت قبل تمام التحقيق
فهو ايضا مغفور له من الرحمة الواسعة فاستوسع رحمة الله
تعالى ولا تزن الامور الالهية بالموازين المحقرة الكرسية

واعلم ان الآخرة قريب من الدنيا فاخلعكم ولا يعتكم
الا كنفس واحد وكان اكثر اهل الدنيا في نعمة او
في سلامة او في حالة يغبطها اذ لو خبرتها وبين الاماتة
والاعدام مثلا لما اختارها وان العذاب الذي يتمنى
الموت كذلك المخلدون في النار بالاضافة الى
الناجي وليلي المخرجين منها في الآخرة ما دام فان صفقة
الرحمة لا يتغير باختلاف احوالك ولولا ذلك كان

وانما الآخرة والدنيا عبارتان عن اختلاف احوالك

قوله عليه السلام بلا معنى حيث قال اول ما خط الله تعالى
في الكتاب الاول انا الله لا آله الا انا سبقت رحمتي
غضبي من شهد ان لا آله الا الله وان محمدا عبده و
رسوله خلد الجنة واعلم ان اهل قد انكشف لهم سبق الرحمة

وسعوا اليها باسباب ومكاشفات سوى ما سمعوه
من الاخبار والآثار ولكن ذلك يطول فاشتغل برحمة
الله تعالى والنجاة المطلقة ان جمعت بين الايمان والعمل
الصالح وبالهلاك المطلق ان خلوت منهما جميعا و
ان كنت صاحب يقين في اصل التقدير وصاحب
الخطا في التأويلات او صاحب شك منهما او خلط
في الاعمال فلا تطمع في النجاة المطلقة واعلم انك
بين ان يعذب مقتا ثم تخلى وبين ان يشفع فيك من
سبقت صدقته في جميع ما جاء به او غيره واجتهد ان
يغنيك الله بفضله عن شفاعة الشفعاء فان الامر في
ذلك خطر عظيم **فصل** قد ظن بعض الناس ان ما جاء

التكفر من العقل لا من الشرع وان الجاهل بالله كافر
وان العارف به مؤمن فيقال له الحكم بالخلود في النار
حكم شرعي لا معنى له قبل ورود الشرع واذا اراد
ان المفهوم به من الشارع ان الجاهل بالله كافر فهذا
لا يمكن حجره فيه لان الجاهل بالرسول والآخرة ايضا
كافر ثم ان خصص ذلك بالجهل بذات الله تعالى بجحد وجوده
او وحدانيته ولم يطرده في الصفات فربما سوعد عليه
فان جعل المخطئ ايضا بالصفات جاهلا وكافرا لزمه تكفير من ينفي
عنه صفات البقاء وصفة العدم ومن نفى الكلام وصفا
زايدا على العلم ومن نفى السمع والبصر زايدا على العلم ومن
نفى جواز الرؤية ومن اثبت الجهة واثبت له الارادة

حادثة في ذاته اولا في محل او في تكفير المخالفين
فيه وبالجملة يلزم التكفير في كل مسئلة يتعلق بصفات
الله تعالى فذلك لحكم لا مستبد له وان خصص ببعض
الصفات دون بعض لم نجد لذلك فصلا مفردا فلا وجه
الا الضبط بالتكذيب ليعلم المكذب بالرسول والمعاند
ويخرج منه التأويل ثم لا بعد ان يقع الشك والنظر
في بعض المسائل من جملة التأويل والتكذيب حتى يكون
التأويل بعيدا او يقضي فيه بالظن وموجب الاجتهاد
وقد عرفت ان هذه مسئلة اجتهاد **فصل** من الناس
من قال انا اكفر من يكفرني من الفرق ولا اكفر
من لا يكفرني وهذا مأخذه فان القائل علي رضي الله

عنه اولي بالاماتة اذا لم يكن كفرًا فبان يخطي صاحبه
وظن ان المخالف فيه كافر ولم يصر كافرًا وانما هذا في مسئلة شرعية وكذا الجنبلي اذا لم يكفر
باثبات الجهة فلم يكن بان يغلط وظن بان ما في الجهة
كذب وليس بالمتأول ولهذا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قذف احد الحكمين صاحبه
بالكفر فقد باء به معناه انه يكفره مع معرفته بحاله من
عرف من غيره انه يصدق برسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم كفره فيكون المكفر كافرًا اثما ان كفره
لظنه انه مكذب وليس كذلك وهذا لا يكون كفرًا
فقد افدناك بهذه التمهيدات التنبيه على امر عظيم

الغور في هذه القاعدة وعلى القانون الذي
ينبغي ان يتبع فيه فاقنع به تم الكتاب
بحمد رب الارباب
وصلى الله على سيدنا
محمد وآله اجمعين